



# كتب تفاعلية

من التراث القديم

٤

## المحاسن والأضداد

بقلم

امام الأدب

أبي عثمان الجاحظ

الجزء الأول

الكتاب العاشر



كتب ثقافية  
من التراث القديم  
٤

# المحاسن والأضداد

الجزء الأول

# مطبوعات وزارة القومية للطباعة والنشر

الانشقاق المسمى (٥٢ عدد ١)

في الامم المتحدة	في الامم المتحدة	في الامم المتحدة	في الامم المتحدة	في الامم المتحدة	في الامم المتحدة	في الامم المتحدة	في الامم المتحدة
١٥٠	٧٥	٢٥٠	٢٥٠	٢٥٠	١٠٠	٢٥٠	١٥٠
١٠٠	٥٠	١٧٠	١٧٠	١٧٠	٦٦٥	١٧٠	١٠٠
٢٥٠	١٢٥	٤٢٠	٤٢٠	٤٢٠	١٦٦٥	٤٢٠	٢٥٠
١٥٠	٧٥	٢٥٠	٢٥٠	٢٥٠	١٠٠	٢٥٠	١٥٠
كتب سياسية	كتب قومية	كتب ثقافية	روايات علمية				

ترسل الاشتراكات بعنوان: الدار القومية للطباعة والنشر

٢ شارع طلعت حرب بالقاهرة

كتب سياسية

تقدم

# ساعة في الرحل

التمن ٣ قروش

مع الباعة في كل مكان

# روایات عالمیت

تقدم

## مغامرات شاربونو کولم

بقلم

الکاتب الانجلیزی الکبیر

سیر آرثر کونان دوئل

الثن ۳ قروش

تصدر السبت القادم

# كتب فومية

تقدم

## مع المجتمع

الديموقراطي الاشتراكي التعاوني

بقلم الكاتب العراقي

خالد عبد الرزاق

الثنى ٢ قرشان

يطلب من الباعة والمكتبات

# مقدمة

أبو عثمان بن بحر الجاحظ أمام من أئمة الأدب العربي ، وكاتب من أعلام الكتاب العرب ، قدم للأدب العربي الروائع الشامخة ، وكتب بأسلوبه البديع علما من الكتب والرسائل تعتبر من أعمدة أدبنا العربي .

ويتميز الجاحظ بالجمع بين أسلوبى العلم والأدب داخل إطار واحد . فانت تراه فى كتاب الحيوان عالما أدبيا ، وانت تراه فى كتاب البيان والتبيين أدبيا عالما .

وليس من شك فى أن أبا عثمان يعتبر من أكتب كتابنا خلال جميع الأجيال ، وهو فى أسلوبه قمة من فهم البلاغة العربية التى لا تدبل أبدا .

انه لا يصطنع المحسنات اللفظية ، أو الأساليب المصطنعة ، ولكنه يكتب بقلمه البديع أروع الأوصاف ، وأجمل التعبيرات ، وأقوى اللغات .

والجاحظ كاتب ساخر ضاحك ، وهو أول كاتب ابتدع فن الكاريكاتير فى كتاباته ، وانت حين تقرأ رسالته (التربيع والتلوين) تفكر كيف استطاع رسم الشخصية بقلمه الساخر البديع رسما كاريكاتوريا لأدعا .

ونحن نقدم للقارئ العربى درة من درر هذا الكاتب العملاق ، هى كتابه « المحاسن والأضداد » الذى جمع فيه من ضروب الفكر والأدب ألوانا شتى . وهو ينقلك من الشئ الى شئ فى لمحة خاطفة ، وفى براعة فائقة .

وهذا الكتاب قد يقرأه القارئ مرات فلا يمل قراءته ، بل يعود اليه وتلك من ميزات أبى عثمان فى براعته وانطلاقه وقدرته على التصوير والتعبير .



وان هذه المجموعة من الكتب الثقافية حين تقدم أبا عثمان الجاحظ الى القارىء العربى ، انما يشرفها أن تقدم قمة عالية من قمم الادب ، ودارة يتيمة من دهره ، ففي كل كلمة من هذا الكتاب حكمة ، وفي كل سطر لمحة ، وفي كل صفحة راحة .

ان كتاب (المحاسن والاضداد) اول كتاب من نوعه فى الادب العربى ، وقد قلده كثيرون من الكتاب الذين جاءوا بعد الجاحظ ، فلم يترك كاتب منه ، ما أدركه أبو عثمان من سمو الأسلوب ، وروعة البيان ، والقدرة على جمع الاخبار والنوادر والقصص داخل اطار من الفن الانسانى الرفيع .

واذا كانت أساليب الكتاب تتفاوت ، فان أسلوب الجاحظ كالبرق التى يغوص من أجلها فى محيط الحياة ليخرجها للناس ، حتى اذا ما سلكها فى عقد واحد ثلاث ، وسطعت ، كلمات ناصعة ، وصفحات مشرقة .

اننى أرجو ان يجد القارىء فى هذا الكتاب ما وجده آلاف القراء الذين أفادوا منه ، وأثر فى حياتهم الادبية والثقافية منه كتبى صاحبه حتى اليوم .

عبد المنعم شمس

## بسم الله الرحمن الرحيم

### وبه الإعانة

الحمد لله رب العالمين • وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين •

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله : انى ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن فى الدين والفقه والرسائل والسيره والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسى ، فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وفصاحته ، وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفا لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يحتاجون عند ذلك اتياج الابل المغتلمه ، فان أمكنتهم الحيلة فى اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذى ألف له فهو الذى قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب تحريرا نقابا ونقرىسا بليغا وحاذقا فطنا وأعجزتهم الحيلة سرقوا معانى ذلك الكتاب وألفوا من أعراضه وحواشيه كتابا وأهدوه الى ملك آخر ومثوا اليه به وهم قد ذموه وتلبوه لما رأوه منسوباً الى وموسوماً بى • وربما ألفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيرى وأحيله على من تقدمنى عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابى ومن أشبه هؤلاء من مؤلفى الكتب فيأتينى أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذى كان احكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته على ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه اماما يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون الفاظه ومعانيه فى كتبهم وخطاباتهم ويروونه عنى لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتى بهم قوم فيه ، لانه لم يترجم باسمى ولم

يُعْتَبَرُ إِلَى قَائِلِي . وهذا كتاب وسمته ( بالمحاسن والاضداد )  
لم أسبق إلى نحلته ولم يسألني أحد صنعه ابتدأته بذكر  
محاسن الكتابة والكتب وختمته في ذكر شيء من محاسن الموت  
والله يكلؤه من حاسد اذا حسد .

## ١ - محاسن الكتابة والكتب

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل  
بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسندير والمدن  
والحصون ، ثم ان العرب شاركت العجم في البنيان وتفردت  
بالكتب والأخبار والشعر والآثار ، فلها من البنيان غمدان  
وكعبة نجران وقصر مأرب وقصر مارد وقصر شعوب والأبلق  
الفرد وغير ذلك من البنيان ، وتصنيف الكتب أشد تقييدا  
للمآثر على ممر الايام والدهور من البنيان ، لان البناء لا محالة  
يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق من قرن الى قرن ومن أمة الى  
أمة فهو أبدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل  
المآثر من البنيان والتصاوير . وكانت العجم تجعل الكتاب  
في الصخور ونقشها في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان ،  
فربما كان الكتاب هو الناتيء وربما كان هو المحفور اذا كان  
تاريخا لأمر جسيم أو عهدا لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها  
أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان  
وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى  
ركن المشقر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها . يعمدون الى  
المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخط في أبعاد  
المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من  
مر به ولا ينسى على وجه الدهور . ولولا الحكم المحفوظة  
والكتب الماثرة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان  
الذكر ، ولما كان للناس مفرع الى موضع استذكروا ولو لم يتم

ذلك لحرماننا أكثر النفع ، ولولا ما رسمت لنا **الاول** الى كتبها ، وخذت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد بنس حفظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الانبياء وأعيان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاحى وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحتية الجاهلية ، ومنهم من يفرط فى العلم أيام خموله وترك ذكره وحدائه سنه ، ولولا جياذ الكتب وخسائنها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى خب الكتب وألفت من حال الجهل وان يكونوا فى غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ، وسمعت محمد بن النجهم يقول إذا فشيئى النعاس فى غير وقت النوم ثناولت كتابا فأجد اهترأزى للفوائد الارضية التى تعترى من سرور الاستنباه وعز التبين أشد ايقاظا من نهيق الحمار وهدنة الهنم فإني إذا استحضنت كتابا واستعدت له ورجوت غائده لم أؤثر عليه عوضا ولم أبغ به بذلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقى من ورقة مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله . وقال ابن داحة كان عبد الله ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فىل مقبرة من المقابر وكان لا يزال فى يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فمال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة . وأهدى بعض الكتاب الى صديق له دفترا وكتب معه : هديتى هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقلب وهى آنس فى الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس فى الخلوة وتبني من الوحدة بمنازل مسباحة ومحدث مطواع ونديم صديق ، وقال بعض الحكماء الكثير

بسياقهم العلماء ، وقال آخر : الكتاب جليس لا مؤنة له ، وقال آخر : الكتاب جليس بلا مؤنة ، وقال آخر : ذهبت المكارم إلا من الكتب .

قال الجاحظ : وأنا أحفظ وأقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعميدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المصروفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء مليء علما وظرف حشى ظرفا وانا شجن مزاحا ان شئت كان أعياء من باقل ، وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل ، وان شئت سرتك نوادره وشجرتك مواعظه ومن لك بواعظ مله ويناسك فاتفك وناطق أخرمس ، ومن لك بطبيب اعرابي ورومي هندي وفارسي يوناني وفنديم مولد ونجيب ممتع ، ومن لك بشيء يجمع الأول والاخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والبسين والشكل وخلافه والجنس وضده . وبعد فما رأيت بستانا يحفل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما بهوى آمن من الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعه من أرباب الوديعه ولا أعلم جارا آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ولا أقبل املالا ولا ابراما ولا أبعد من وراء ولا أتوك لشبيب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ، ولا اعم بيانا ولا أحسن مؤاتاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتني ولا أسرع ادراكا ولا أوجد في كل اiban من كتاب ، ولا أعلم نتاجا في حداة سنه وقرب ميلاده ورخصي ثمنه وامكان وجوده يجمع من السير العجيبة والمعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب

الحكمة والاختبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والأمثال  
السائرة والأُمم البائدة ما يجمعه كتاب . ومن لك بزاثر ان  
شئت كانت زيارته غبا وورده خمسا ، وان شئت لزمتك لزوم  
ذلك وكان منك كبعضك . والكتاب هو المجلس الذي  
لا يطريك والصديق الذي لا يقلبك والرفيق الذي لا يملك  
والمنستمع الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطنك والصاحب  
الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر  
ولا يخدعك بالنفاق . والكتاب هو الذي ان نظرت فيه أطال  
امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم  
الفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام  
وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته  
في الحضر وهو المعلم ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه  
المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت  
ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقا منه بأدنى حبل  
لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وان أمثل  
ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر  
في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل وبرورة  
وصون غرض واصلاح دين وتثمين مال ورب صنيعة وابتداء  
انعام . ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعة لك  
من الجلوس على بابك والنظر الى المسارة بك مع ما في ذلك من  
التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صفار  
الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم  
الردية وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والفضيلة  
واحرار الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الا انه  
يشغلك عن سخط المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل  
ما تشتهي له قد كان له في ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم  
المنة . وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يعمل لانه وان  
كان كتابا واحدا فإنه كتب كثيرة في خطابه والعلم بالشرعية

والاحكام والمعرفة بالسياسة والتسدير . وقال مضعب بن  
الزبير : ان الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون  
أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فإذا أخذت  
الأدب فخذ من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختارا  
ولؤلؤا منظوما . وقال لقمان لابنه : يا بني نafs في طلب العلم  
فانه ميراث غير مسلوب ، وقرين غير مغلوب ، ونفيس حظ  
من الناس وفي الناس مطلوب . وقال الزهري : الأدب ذكر  
لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم ، وقال :  
إذا سمعت أدبا فاكتبه ولو في حائط . وقال منصور بن المهدي  
للمأمون : أيحسن بنا طلب العلم والأدب قال : والله لأن أموت  
طالبا للأدب خير لي من أن أعيش قانعا بالجهل قال : فإلى متى  
يحسن بي ذلك قال : ما حسنت الحياة بك .

### ( ضلله )

الحديث المرفوع ( رحم الله عبدا أصلح من لسانه ) . وكان  
الوليد بن عبد الملك لحنة فدخل عليه اعرابي يوما فقال :  
أنصفني من ختنى يا أمير المؤمنين فقال : ومن ختنك ؟ قال  
رجل من الحي لا أعرف اسمه ، فقال عمر بن عبد العزيز : ان  
أمير المؤمنين يقول لك من ختنك ؟ فقال هو ذا بالباب فقال  
الوليد لعمر ما هذا ؟ قال النحو الذي كنت أخبرتك عنه ، قال  
لا جرم فإني لا أصلي بالناس حتى أتعلمه ، قال وسمع اعرابي  
مؤذنا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا ؟  
وقال رجل لزيادة : أيها الأمير ان أبينا هلك وان أخينا  
غصبنا على ميراثنا من أبينا فقال زياد ما ضيعت من نفسك  
أكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك  
إينا مثلك . قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز

فجعلوا يلحنان فقال الحساجب : قما فقد أوديتما أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب : أنت والله أشد أيداء منهما • قال وقال بشر المريسي وكان كثير اللحن : قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم التمار : هذا على قوله :

**ان سـليـمي والله يـكـلـوها ضنت بشيء ما كان يرزوها**

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ، قال وكان زياد النبطي شديد اللكنة وكان نحويا فدعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال : من لدن دأرتك الى أن ديتني ما كنت تصنأ ، يريد دعوتك وجئتني وتصنع ، ومر ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال : يا ماسرجويه اني لا تجد في حلقي نجحا قال هو من عمل بلغم • فلما جاوزة قال : تراني لا أحسن أن أقول بلغم ولكنه قال بالعربية فأجبتة بضدها •

## ٢ - محاسن المخاطبات

حكوا عن ابن القرية ، أنه دخل على عبد الملك بن مروان فبينما هو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين ؟ قال : ولد أمير المؤمنين ، قال : بارك الله لك فيهم كما بارك لأبيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك في أبيك ، قال : فشحن فاه درا ، قال وقال عمارة بن حمزة لأبني العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلى الله يا أمير المؤمنين وبرك فو الله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرون شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك • قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد فقال : مالك ؟ قال :



سواها من سواها الكثيرين تجملا  
ومالي كما قد تعلمين قليل

وأمة بالخيل قلت لها اقصرى  
فذلك شيء ما اليه سبيل

وكيف أخاف الفقير أو أحرم الغنى  
وإلى أمير المؤمنين جميل

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى  
بغلا له في العالمين خليل

فقل للرشيد : هذا والله الشعر الذي صحت معانيه وقويت  
أركانه ومبانيه ولذ على أفواه القائلين وأسماع السامعين يا غلام  
احمل اليه خمسين ألف درهم ، قال اسحق يا أمير المؤمنين  
كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعري بأكثر مما مدحتك به ؟  
قال الأصمعي : فعلمت أنه أصيد للدراهم منى . قال ودخل  
المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم  
فقال : من أنت ؟ قال : أنا الناشئ في دولتك المتقلب في نعمتك  
الموهل لخيعتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالاحسان  
في البديهة تفضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب  
الخاصة ويعطى مائة ألف درهم تقوية له ، قال : ووصف يحيى  
ابن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد  
وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال  
ليحيى يوما أدخل هذا الغلام المجوسى حتى أنظر اليه فأوصله  
فلما مثل بين يديه ووقف تحير فأراد الكلام فارتج عليه فأدركته  
كبيرة فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقدم من  
تفريطه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال : يا أمير المؤمنين ان  
من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة اقراط هيئته لسيد  
فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا  
انه لحسن ولئن كان شيئا أدركك عند انقطاعك انه لا حسن

وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شيء الا رآه فيه مقلما فضمنه  
الى المأمون ، قال : وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله  
حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل  
انقاذها فتأخر ذلك : هب لوعذك مذكرا من نفسك وهنيء  
سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك فى الكرم حثا على  
اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم  
والالسن بنهاية الجود ، فقال : قد جعلت اليك اجابة سؤال  
عنى بما ترى فيهم وآخذك فى التقصير فيما يلزم لهم من غير  
استثمار أو معاودة فى اخراج الصكك من أحضر الأموال  
متناولا قال اذا لا تجدى معرفتى بما يجب لأئمة المؤمنين الهناء  
به بما يديم له منهم حسن الثناء ويستمد بدعائهم طول اليقاء •  
وقال الفضل بن سهل للمأمون : يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك  
صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها فى غضاضة السؤال  
فقال والله لا كان ذلك الا كذلك • قال ودخل العتابى على  
المأمون فقال : خبرت بوفاك فغممتنى ثم جاءتنى وقادتك  
فسرتنى فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك  
ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك ؟ قال سلنى ما بدالك قال  
يداك بالعطية أطلق من لسانى بالمسالة • قال وقدم السعدى  
أبو وجزة على المهلب بن أبى صفرة فقال : أصلح الله الأمير انى  
قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يشرب  
قال : فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة ؟ قال : لا ، ولكنى  
رأيتك لحاجتى أهلا فان قمت بها فأهل ذلك وان يحل دونها  
حائل لم أذم يومك ولم أياس من غدك فقال المهلب يعطى ما فى  
بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعت اليه فأخذها وقال :

يا من على الجود صاغ الله راحته  
فليس يحسن غير البذل والجود  
عمت عطاياك من بالشرق قاطبة  
فانت والجود منحوتان من عود

وقد يجب على العاقل الراغب في الأدب أن يحفظ هذه  
المخاطبات ويدمن قراءتها ، وقد قال الأصمعي :

أما لو أعي كل ما أسمع	وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جعت	لقل أنا العالم المقنع
ولكن نفسي إلى كل شيء	من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت	ولا أنا من جمعه أشبع
وأقعد للجهل في مجلس	وعلمي في الكتب مستودع
ومن يك في علمه هكذا	يكن دهره القهقري يرجع
يضيع من المال ما قد جمعت	وعلمك في الكتب مستودع
إذا لم تكن حافظا واعيا	فجمعك للكتب ما ينفع

وقال بعضهم : الحفظ مع الإقلال أمكن وهو مع الإكثار أبعد  
وتغيير الطبائع زمن رطوبة الفصن أقبل ، وفيها قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى  
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وقيل : العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر  
كالعلامة على المدر . . فسمع ذلك الأحنف فقال الكبير أكثر  
عقلا ولكنه أكثر شغلا كما قال :

وان من أدبته في الصبي  
حتى تراه مورقا ناصرا  
كالعود يسقى الماء في غرسه  
بعد الذي أبصرت من يبسه

والصبي عن الصبي أفهم وهو له آلف ، وإليه أنزع .  
وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل ، وقال الله  
تعالى : ( ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ) لأن الإنسان عن  
الإنسان أفهم وطباعه بطباعه آنس .

( ضمه )

قال : دخل أبو علقمة على أعين الطبيب فقال : اني أكلت

من: لحوم الجوازى. وطسشت طساسة فاصابنى وجع بين  
الوايلة الى داية العنشق فلم يزل يربو ويتمسو حتى خالط  
الشراسيف فهل عندك دواء؟ قال نعم خذ خوفقا وسربقا  
ورقرقا فاغسله واشربه بماء فقال لا أدري ما تقول قال ولا أنا  
دريت ما قلت . قال وقال يوما آخر انى أجد معمعة فى قلبى  
وقرقرة فى صدرى فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة  
فهى ضراط غير نضيج . قال وأتى رجل الهيثم بن العريان  
بغريم له قد مطله حقه فقال أصلح الله الأمير ان لى على هذا  
حقا قد غلبنى عليه فقال له الآخر أصلحك الله ان هذا باعنى  
عنجدنا واستنساته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهو  
لا يلقانى فى لقم الا اقتضانى ذهابا فقال له الهيثم أمن بنى أمية  
أنت؟ قال لا ، قال أفمن بنى هاشم أنت؟ قال لا ، قال أفمن  
أكفائهم من العرب؟ قال لا ، قال ويلى عليك إنزعوا ثيابك  
فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال أصلحك الله ان ازارى مرعبل  
قال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه فى هذا الموضع .  
قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرة فوثب عليه  
قوم فحججوا بصريين ابهاسمه ثم يؤذنون فى أذنه فأفلت من  
أيديهم فقال ما لكم تمكأكون على تكأكوكم على ذى جنة افرقعوا  
عننى فقال رجل منهم دعوه فان شيطانك يتكلم بالهندية . قال  
وقال لحجام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهدف ظبة المشارط  
وخفف الوضع وعجل النزاع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا  
ولا تكرهن أبيا ولا تردن أتيا فوضع الحجام محاجمه فى جوثته  
وانصرف .

### ٣ - محاسن المكاتبات

قال كعب العبسى لعروة بن الزبير : قد أذنبت ذنباً الى  
الوليد بن عبد الملك وليس يزيل غضبه شيء فاكتب لى اليه  
فكتب اليه : لو لم يكن لكعب من قديم حرمة ما يغفر له عظيم

جريته لوجب ألا تحسرمه التفيؤ بظل عفوك الذى تأمله  
القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بى اليك فوثقت له  
منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله وصدق ثقتي بك تجد  
الشكر وافيا بالنعمة • فكتب اليه الوليد : قد شكرت رغبته  
اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك  
عنى فى أمثاله وفى سائر أمورك • وكتب عبد الله بن معاوية  
ابن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه : أما بعد ، فقد عاقنى  
الشك عن عزيمة الراى ، ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم  
أعقبتنى جفاء من غير ذنب فأطمعنى أولك فى احسانك  
وأياسينى آخرك من وفائك فلا أنا فى غير الرجاء مجمع لك  
اطراحا ولا فى غد أنتظره منك على ثقة فسبحان من لو شاء  
كشف ايضاح الراى فيك فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على  
اختلاف • قال وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن  
الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز  
فكتب اليه : ان من حفظ أنعم الله رعاية ذوى الاسنان ومن  
أظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام السؤدد  
حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العريان  
نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة سخطك وما أنصفتة غصبته ،  
على أن أوليته ثم عزلته وخليته وأنا شفيعه فأحب أن تجعل له  
من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما أودعته  
وتتوى (١) ما أفسدته • فعفا عنه ورده الى عمله • قال  
وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عبيد مولاة فشكاه الى  
سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه : أما بعد ، فان أمير المؤمنين  
فى الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفى عفو أمير  
المؤمنين سعة للمسيئين • فرضى عنه • قال وطلب العتابى  
من رجل حاجة ففضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه :

أما بعد فقد تركتني منتظرا لوعدك منتجزا لرعدك وصاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل احسن من المثل الطويل . وقد قلت بيتي شعر :

بسطت لساني ثم اوثقت نصفه  
فنصف لساني بامتداحك مطلق

فان انت لم تنجز عِداتي تركتني  
وباقى لسان الشكر باليأس موثق

قال : وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون في رجل من بنى ضبة يستشفع له بالزيادة في منزلته وجعل كتابه تعريضا : أما بعد ، فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطولك على فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام . فكتب اليه المأمون : قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليهما ووقفناك عليهما . قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون كتابا يستعطفه على الجند : كتابى الى أمير المؤمنين ومن قبلى من أجناده وقواده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم ، فقال المأمون : والله لا أقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر . قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المأمون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة قوصل فى رقعة منى الى أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكون لك على نعمتان فكتب : ان رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربة المثل بقضاء حاجته ويأذن له فى الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله ، فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز مرادها فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين ؟ قال الكتاب له فى هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر

لفضل استحسننا كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن  
دناءة المظل وسباجة الاغفال ففعل ذلك له . وحدثنا اسماعيل  
ابن أبي شاذكر قال : لما أصاب أهل مكة السيل الذي شارب  
الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوي  
وهو والي الحرمين الى المأمون : ان أهل حرم الله وجيران بيته  
والأف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل  
تراكمت أخرياته في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان  
واجتياح الاصول وجرف الاقبال حتى ما ترك طارفا ولا قالدا  
للراجع اليهما في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن  
الاستراحة الى البكاء على الامهات والاولاد والآباء والاجداد  
فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجسد  
الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم . قال فوجه اليهم  
المأمون بالاموال الكثيرة وكتب الى عبيد الله : أما بعد ففسد  
وصلت شكيتك لأهل حرم الله أمير المؤمنين فبكاكم بقلب  
رحمته وأنجدهم بسبب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما  
يخلفه عليهم عاجلا وأجلا ان أذن الله في تثبيت عزمه على صحة  
نيته . قال فصار كتابه هذا آنس لأهل مكة من الاموال التي  
أنفذها اليهم . وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث الى يحيى بن  
خالد يستعفيه من العمل : شكرى لك على ما أريد الخروج منه  
شكر من سأل الدخول فيه . قال وكتب على بن هشام الى  
اسحاق بن ابراهيم الموصلى : ما أدري كيف أصنع أغيب  
فأشتاق وألتقى فلا أشتقى ثم يحدث لى اللقاء الذي طلبت منه  
الشفاء نوعا من الحرقلة للوعة الفرقة . قال وكتب معقل الى أبي  
دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك  
عليه فعل غيرك . وكتب أبو هاشم الحربى الى بعض الامراء :  
غرضى من الامير معوز والصبر على الحرمان معجز . وكتب  
آخر الى صديق له : أما بعد ، فقد أصبح لنا من فضل الله  
ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندري ما نشكر أجميل

ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى أم كثير ما عفا غير  
أنه يلزمنا في كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله  
في حسن بلائه كشكره على حسن آلائه .

### ( ضمه )

قال الجاحظ : كتب ابن المراكبي الى بعض ملوك بغداد :  
جعلت فداك برحمته . قال وقرأت على عنوان كتاب لأبي  
الحسن التميمي : للموت لنا قبلة . وقرأت أيضا على عنوان  
كتاب : الى الذي كتب الى .

## ٤ - محاسن الجواب

قال : دخل رجل على كسرى أبرويز ، فشكا اليه عاملا  
غصبه على ضيعة له ، فقال له كسرى : منذ كم هي في يدك ؟  
قال منذ أربعين سنة قال : فانت تأكلها أربعين سنة ما عليك  
أن يأكل عاملي منها سنة واحدة فقال : وما كان على الملك أن  
يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة ؟ فقال : ادفعوا في قفاه  
فأخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال : دخلت بمنظومة  
وخرجت باثنتين فقال كسرى : ردوه وأمر برد ضيعته وصبيوه  
في خاصته . ويقال : ان سعيد بن مرة الكندي حين أتى معاوية  
قال له : أنت سعيد قال : أمير المؤمنين سعيد ، وأنا ابن مرة .  
قال : ودخل السيد بن أنس الأزدى على المأمون ، فقال :  
أنت السيد ؟ فقال : أنت السيد يا أمير المؤمنين ، وأنا ابن  
أنس . قال : وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال هو عليه الصلاة والسلام  
أكبر مني وأنا وليت قبيله . قال : وقال الحجاج للمهلب أنا  
أطول أم أنت ؟ قال : الأمير أطول وأنا أبسط قامة منه  
قيل : ووقف المهدي على امرأة من بنى نعل فقال لها : مين



العجوز ؟ قالت من طيء . قال : ما منع طيئنا أن يكون فيها  
آخر مثل حاتم قالت : الذي منع العرب أن يكون فيها آخر  
مثلك وأعجب بقولها ووصلها ، قيل : ولما استوثق أمر العراق  
لعبد الله بن الزبير وجه مصعب اليه وفدا فلما قدموا عليه  
قال لهم : وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام ،  
فقال رجل من أهل العراق : يا أمير المؤمنين علقناك وعلقت  
بأهل الشام وعلقت أهل الشام بآل مروان ، فما أعرف لنا مثلا  
الا قول الأعشى :

**علقتها عرضاً وعلقت رجلاً      غيري وعلقت أخرى غيرها الرجل**

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا . قال : وقال مسلمة بن  
عبد الملك : ما شيء يؤتى العبد بعد الإيمان بالله تعالى أحب الي  
من جواب حاضر فان الجواب اذا انعقب لم يكن شيئا .

### ( قصصه )

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان  
ابن بدر وعمرو بن الأهتم فذكر عمرو الزبرقان قال : بأبي  
أنت وأمي يا رسول الله انه اطعام جواد الكف مطاع في أدانيه  
شديد العارضة مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان : بأبي أنت  
وأمي يا رسول الله انه ليعرف مني أكثر من هذا ولكنه  
يحسدني ، فقال عمرو : والله يا نبي الله ان هذا لزمر المرءة  
ضيق العطن لثيم العم أحرق الخال ، فرأى الكراهية في وجه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال :  
يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى  
ولكني رضيت فقلت أجس ما علمت وسخطت فقلت أسوأ  
ما أعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ان من البيان  
لسحرا وان من الشعر لحكما ) ، وذكروا أن الوليد بن عتبة

قال لعقيل بن أبى طالب : غلبك على الثروة والعدد . قال :  
وسبقتني وإياك الى الجنة . قال الوليد : أما وألله ان شديقتك  
لمتضمخان من دم عثمان ، قال عقيل : ما لك ولقريش ؟ وانما  
أنت فيهم كمنيع الميسر ، فقال الوليد : والله انى لأرى لو أن  
أهل الارض اشتركوا في قتله لوردوا صعدوا ، فقال له عقيل :  
كلا أما ترغب عن صحبة أبيك . قال : وقال رجل من قریش  
لخالد بن صفوان ما اسمك ؟ قال خالد بن صفوان ابن الأهمتم ،  
قال : ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو  
حجر وان جدك لأهمتم والصحيح خير من الأهمتم ، قال له  
خالد : من أى قریش أنت ؟ قال من عبد الدار بن قصي بن  
كلاب ، قال : لقد هشمتمك هاشم وأمتك أمية وجمعت بك  
جمع وخزمتك مخزوم وأقصتكم قصي فجعلتكم عبد دارها فتفتح  
اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا . قيل : ومرو الفرزدق فرأى خليفة  
الشاعر فقال له : يا أبا فراس من القائل :

هو القين وابن القين لا قين مثله  
لفطح المساحي أو لجندل الأدهم

قال الفرزدق : الذي يقول :

هو اللص وابن اللص لا لص مثله  
لنقب جندار أو لطرير الداهم

## ٥ - محاسن حفظ اللسان

قال أكتف بن صيفي : مقتل الرجل بين فكية - يعنى لسانه -  
وقال : رب قول أشد من صول ، وقال : لكل ساقطة لاقطة ،  
وقال المهلب لبنيه : اتقوا زلة اللسان فإني وجدت الرجل  
تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه .  
قال يونس بن عبيد : ليست خلة من خلال الخير تكون في

الرجل هي أخرى أن تكون جامعاً لأنواع الخير كلها من حفظ  
اللسان . وقال قسامة بن زهير : يا معشر الناس ان كلامكم  
أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب  
بالفكر . وكان يقال : ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما  
يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه،  
وقال الشاعر :

عليك حفظ اللسان مجتهداً      فان جل الهلاك في زلله  
غيره :

وجرح السيف تأسوه فيبراً      وجرح الدهر ما جرح اللسان  
جراحات الطعان لها التمام      ولا يلتام ما جرح اللسان  
غيره :

احفظ لسانك لاتقول فتبتلى      ان البلاء موكل بالمنطق  
غيره :

لعمرك ما شيء علمت مكانه      أحق بسجن من لسان مدلل  
على فيكم مما ليس بغيرك قوله      بقلل شديد حيث ما كنت فاقفل

قيل : تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن  
قوس واحد : قال كسرى : أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على  
رد ما قلت . وقال ملك الهند : اذا تكلمت بكلمة ملكتنى وان  
كنت أملكها . وقال قيصر : لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت  
على ما قلت . وقال ملك الصين : عاقبة ما جرى به القول أشد  
من الندم على ترك القول . وقال بعضهم : من حصافة الانسان  
أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه  
لن يعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة في العلم . وقال  
بعض الحكماء : من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن  
يصمت فيحسن . وقال بعضهم : كان ابن عبيدة الريحاني  
المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول : الصمت أمان من  
تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول

القول • وقال أبو عبيد الله ، كاتب المهدي : كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام • وكان يقال : من سكت فسلم كان كمن قال فغتم • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ان الله تعالى يكره الانبعاث في الكلام يرحم الله امرأ أوجز في كلامه واقتصر على حاجته ) ، قيل : وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال : أنساني أول كلامك طول عهده ، وفارق آخره فهمي لتفاوته ، ولما قدم ليقتل بكنت امرأته فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت تقتل ظلما قال : وكنت تحبين أن أقتل حقا أو أقتل ظلما • وشتم رجل الميلى فلم يجبه فقيل له : حملت عنه ، فقال : ما أعرف مسباويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه • وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال : حملت الى المتوكل وأدخلت عليه فقال : يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله - يعني المعتز - حتى تعلمه من فقه المدنيين ، فأدخلت حجرة فاذا أنا بالمعتز قد أتى في رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسأل دمه فجعل يغسل الدم ، ويقول :

يصاب الفتى من عشرة بلسانه  
وليس يصاب المرء من عشرة الرجل  
فعرثته من فيه ترمى برأسه  
وعرثته بالرجل تبسرا على مهل

فقلت في نفسي : ضمنت الى من أريد أن أعلم منه •

( ضمه )

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال : انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شيء فهو أفضل منه ومثله آخر عنهما فقال : أخزى الله المساكنة ما أفسدها للسان وأجلبها للعي ووالله للمماراة في استخراج حق أهدم للعي من النار في يابس العرفج ، فقيل له : قد عرفت ما في المماراة من

الذم ، فقال : ما فيها أقل ضررا من السكته التي تورث عللا وتولد داء أيسره العي ، وقال بعض الحكماء : اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن ، وممن أفرط في قوله فاستقيل بالحلم ، ما حكى عن شهرام المروزي فانه جرى بينه وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى أن قال له شهرام : يالقطه فصمت أبو مسلم وندم شهرام على ما سبق به لسانه وأقبل معتذرا خاضعا ومتنصلا ، فلما رأى ذلك أبو مسلم قال : لسان سبق ووهم أخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لى ، لاثنى جرأتك على نفسي بطول احتمالى منك ، فان كنت معتمدا للذنب فقد شركتك فيه وإن كنت مغلوبا فالعذر يسعك ، وقد غفرنا لك على كل حال ، قال شهرام : أيها الملك عفو مثلك لا يكون غرورا قال : أجل ، قال : وان عظيم ذنبى لن يدع قلبى يسكن ولج فى الاعتذار ، فقال أبو مسلم : يا عجباً كنت تسيء وأنا أحسن ، فاذا أحسنت أسأت .

## ٦ - محاسن كتمان السر

قال : كان المنصور يقول : الملك يحتمل كل شيء من أصحابه الا ثلاثا افشاء السر والتعرض للحرم والقدح فى الملك ، وكان يقول : سترك من دمك فانظر من تملكه ، وكان يقول : سرك لا تطلع عليه تغييرك وان من أنفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم ، وقيل لأبى مسلم : بأى شيء أدركت هذا الامر ؟ قال : ارتديت بالكتمان واتزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فأدركت طلبتى وحزت بغيتى ، وأنشد فى ذلك :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت

عنه ملوك بنى مروان اذ حشدوا

ما زلت أسمى عليهم فى ديارهم

والقوم فى ملكهم بالشام قد رقبوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم احد  
ومن رعى غنما في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الاسد

قال : وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه : جنبني  
خصالا أربعا : لا تطريني في وجهي ولا تجربين على كذبة ولا  
تغتابن عندي أحدا ولا تفشين لي سرا . وقال النبي صلى الله  
عليه وسلم : ( استعينوا على انجاح حوائجكم بكتمان السر فان  
كل ذي نعمة محسود ) وأنشد اليزيدي في ذلك :

النجم أقرب من سر اذا اشتملت  
منى على السر أضلاع واحشاه

غيره  
ونفسك فاحفظها ولا تفش للعدى  
من السر ما يطوى عليه ضميرها  
فما يحفظ المكتوم من سر أهله  
اذا عقد الاسرار ضماح كثيرها  
من القوم الا ذو عفاف يعينه  
على ذاك منه صديق نفس وخيرها

قال معاوية بن أبي سفيان : أعنت على علي بن أبي طالب بأربع  
خصال : كان رجلا ظهرة علنة لا يكتم سرا وكنت كتوما لسرى  
وكان لا يسعى حتى يفاجئه الامر مفاجأة وكنت أبادر الى ذلك  
وكان في أخبث جند وأشدهم خلافا وكنت في أطوع جند وأقلهم  
خلافا وكنت أحب الى قريش منه فنلت ما شئت فله من جامع الى  
ومفرق عنه . وكان يقال : لكاتم سر من كتمان احدى فضيلتين :  
الظفر بحاجته والسلامة من شره ، فمن أحسن فليحمد الله وله  
المنة عليه ، ومن أساء فليستغفر الله . وقال بعضهم : كتمانك  
سرك يعقبك السلامة وافشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر  
على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه . وقال بعضهم :  
ما أقبح بالانسان أن يخاف على ما في يده من اللصوص فيخفيه  
ويمكن عدوه من نفسه بإظهاره ما في قلبه من سر نفسه وسر

أخيه ، ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومن الا نفسه ان لم يستقم له . وقال معاوية : ما أفضيت سري الى أحد الا أعقبني طول الندم وشدة الاسف ولا أودعته جوانح صدرى فحكمته بين أضلاعى الا أكسبني مجدا وذكرا وسناء ورفعة فليل : ولا ابن العاص قال : ولا ابن العاص : وكان يقول : ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أمر أخيك على أحسنه ولا تظن بكلمة خرجت منه سوءا ما كنت وأجدا لها فى الخير مذهبا وما كافات من عصي الله فيك بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصديق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء ) . وحدث ابراهيم بن عيسى قال : ذاكرت المنصور ذات يوم فى أبى مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل ما فعل ، فأئشده :

تقسمنى امران لم افتتجهما      بحزم ولم تعركهما لى الكراكر  
وما ساور الاحشاء مثل دفينه      من الهم ردتها اليك المعاذر  
وقد علمت افناء عدنان أننى      على مثلها مقدمة متجاسر

وقال آخر :

صن السر بالكتمان يرضك غبه      فقد يظهر السر المضيع فيندم  
ولا تفشين سرا الى غير اهله      فيظهر خرق الشر من حيث يكتم

وما زلت فى الكتمان حتى كائنى

برجع جواب السائل عنه أعجم

لنسلمهن قول الوشاة وتسلمى

سلمت وهل حى على الدهر يسلم

وقال آخر :

أمنى تخاف انتشار الحديث      وحظى فى ستره أوفر  
ولو لم أصنه لبقيا عليك      نظرت لنفسى كما تنظر

وقال أبو نواس :

لا تفش أسرارك للناس      وداو احزنالك بالكاس  
فإن ابليس غسلى ما به      أراف بالناس من الناس

وقال المبرد : أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسر ما  
روى لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

نصرك إن وشىة الرجا      ل لا يتركون ادما صحيجا  
فلا تبد سرك الا اليك      فان لكل نصيح نصيجا

وقال العتبي :

ولي صاحب سرى المكتم عنده      محاريق نيران بليل تحرق  
غدوت على أسرارهِ فكسوتها      ثيابا من الكتان ما تتخرق  
فمن كانت الأسرار تطفو بصدده      لأسرار صدرى بالأحاديث تغرق  
فلا تودعن الدهر سرك أحقا      فانك إن أودعته منه أحرق  
وحسبك في ستر الأحاديث واعظا      من القول ما قال الأديب الموفق  
إذا ضاق صدر المرء من سر نفسه      فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر :

لا يكتُم السر الا كل ذي خطر      فالسر عند كرام الناس مكتوم  
والسر عندي في بيت له غلق      قد ضاع مفتاحه والباب مردوم

قيل : دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره في عتبة،  
فقال : ما أحسنت في حبك ولا أجملت في إذاعة سرك ، فقال :  
من كان يزعم أن سيكتُم حبه

أو يستطيع الستر فهو كلوب

الحب أغلب للرجال بقهره      من أن يرى للسر فيه نصيب  
وإذا بنا سر اللبيب فانه      لم يبد الا والفتى مغلوب  
أنى لأحسد ذاهوى مستحفظا      لم تنهمه أعين وقلوب  
فاستحسن المهدي شعره وقال : قد عنرنالك على إذاعة سرك  
ووصلناك على حسن عذرك أن كتمان السر أحسن من إذاعته •



وقال زياد : لكل مستشير ثقة وإن الناس قد ابتدعت بهم  
خصلتان : اذاعة السر ، وترك النصيحة ، وليس للسر موضع  
إلا أحد رجلين : إما أخروى يرجو ثواب الله ، أو دنيأوى له  
شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان فى هذا  
الدهر . وقال المهلب : ما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما  
تضيق عن السر ، كما قال الشاعر :

ولربما كتم الوقور فصرحت حركاته للناس عن كتمانته  
ولربما وزق الفتى بسكوته ولربما حرم الفتى ببيانته  
وقال آخر :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسرك عند الناس أفشى وأضيع  
لساني كنوم لا سرادكم ودمعي نهم نسرى مديع  
فلولا اندنوع كتمت الهوى  
ولولا الهوى لم تكن لى دموع

#### ٧ - محاسن المشورة

يقال : إذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد  
فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى أمره ما يحب . وقال آخر :  
حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة . وقيل : إذا استشرت  
فانصح ، وإذا قدرت فاصفح . وقيل : من وعظ أخاه سرا  
زانه ، ومن وعظه جهرا شأنه . وقال آخر : الاعتصام بالمشورة  
نجاة . وقال آخر : نصف عقلك مع أخيك فاستشره . وقال  
آخر : إذا أراد الله لعبده هلاكا أهلكه برأيه . وقال آخر : المشورة  
تقوم اعوجاج الرأى . وقال : إياك ومشورة النساء فان رأيهن  
الى أفن وعزمهن الى وهن .

#### ( فضله )

قال بعض أهل العلم : لو لم يكن فى المشورة الا استضعاف  
صاحبك لك وظهور ففرك اليه لوجب اطراح ما تفيده المشورة

والقاء ما يكسبه الامتنان ، وما استشرت أحدا الا كنت عند نفسي ضعيفا وكان عندي قويا ، وتصاغت له ودخلته العزة ، فاياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأذاك الاستبهام الى الخطأ الفادح ، فان صاحبها أبدا مستذل مستضعف ، وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبدا جليل في العيون مهيب في الصدور ، ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعرفت بالحاجة اليهم . وقيل : نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على رأيه دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الاشعث فقدم به على الحجاج فلقبه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له : أشر على فقال : لا أدري بم أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه ، قال الشعبي : فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذى قالوا فسلمت عليه بالامرة ثم قلت : أيد الله الامير ان الناس قد أمروني أن اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ولك الله أن لا أقول فى مقامى هذا الا الحق قد جهدنا وحرصنا فما كان بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سقطت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا ، فقال الحجاج : أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دماثنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي ، فقلت : أيها الامير اكتحلث والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا قال : صدقت ، وانصرفت :

## ٨ - معاسن الشكر

قال بعض الحكماء : صن شكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالقناعة . وقال الفضل بن سهل : من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء عزه

فليستقط دالته ومكره . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف :

**لقد ثبتت في القلب منك مودة**

**كما ثبتت في الراحتين الاصابع**

قال : واصطنع رجل رجلا فسأله يوما أتعبنى يافلان قال : نعم أحبك حبا لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلك . وقال كسرى أنو شروان : المنعم أفضل من الشاكر لانه جعل له السبيل الى الشكر . واختصر حبيب ابن اوس هذا في مصراع واحد فقال :

**لهان علينا أن نقول وتفعلنا**

الباهلي عن أبي فروة قال: مكتوب في التوراة: أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : ( البغى والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر ) ، وأنشد الحطيئة عمر وكعب الاحبار عنده :

**من يفعل الخير لا يعلم جوازيه لا يلهب العرف بين الله والناس**

فقال كعب : يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال ؟ هذا مكتوب في التوراة ؟ فقال عمر : كيف ذلك ؟ قال في التوراة مكتوب : من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدى وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد ، فقال : أفلا أكون عبدا شكورا . وفي الحديث ( ان رجلا قال في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم ربنا لك الحمد حمدا مباركا طيبا زكيا فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أيكم

صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا ) وقيل : نسيان النعمة أول درجات الكفر ، وقال أمير المؤمنين على رضي الله عنه : المعروف يكفر من كفره لأنه يشكرك عليه أشكر الشاكرين ، وقد قيل في ذلك :

**يد المعروف غنم حيث كانت تحملها كفور أم شكور  
فعند الشاكرين ثها جزاء وعند الله ما كفسر الكفور**

وقال بعض الحكماء : ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها الا ترك حسابه عليها ، وقال بعض الحكماء : عند التراخي عن شكر النعم تحل عظام النقم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده :

**يجزيك او يشني عليك وان من**

**اثني عليك بما فعلت كمن جزى**

فيقول صلى الله عليه وسلم : صدق القائل يا عائشة ان الله اذا أجرى على يد رجل خيرا فلم يشكره فليس لله بشاكر ، وقيل لثني الرمة : لم خصصت بلال بن أبي بردة بمدحك ؟ قال : لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي وأحسن صلتى فحق لكثير معروفه عندي أن يستولى على شكرى . ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق ، من ذلك ما قاله بزرجمهر : من انتظر بمعروفه يشكرك عاجل المكافاة ، وقال بعض الحكماء : ان الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنعة تمحق الاجر ، وقال على بن عبيدة : من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافاة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه . وفصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا أستديم احسانك الا بالشكر الذي جعله الله للنعم حارسا وللحق مؤديا وللعجز سببيا .

قال بعض الحكماء : المعروف الى الكرام يعقب خيرا والى اللئام يعقب شرا ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب وتشرب منه الافاعي فيعقب سما . وقال سفيان : وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام ، وقال : أثار جماعة من الاعراب ضبعا فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها ، فقال : ما كنت لأفعل وقد استجارت بى فأنصرفوا وقد كانت هزيلة فأحضر لها لقاحا وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته . فقال شاعرهم فى ذلك :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله

يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر

أقام لها لما أناخت ببابه      لتسمن البان ندم ح الدرائر  
فأسمنها حتى اذا ما تمكنت      فرقه بأنسابهم وأطافر  
فقلت لذى المعروف هذا جزا من      وجود باحسان الى غير شاكر

قيل : وأصاب أعرابى جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شده على الشدة فقتلها . فقال الاعرابى يذكر ذلك :

غذتك شويتهى ونشأت عندى      فمن أدراك أن أباك ذيب  
فجعت نسية وصغار قوم      بشاتهم وأنت لها ربيب  
اذا كان الطباع طباع سوء      فليس بنافع أدب لاديب

وفى المثل - سمن كلبك يا كلك - وأنشد :

هم سمنوا كلبا ليناكل بعضهم      ولو عملوا بالحزم ماسمنوا كلبا

وقال آخر :

واني وقيسا كالمسمن كلبه فخدشه أنسابه وأظافره  
ويضرب المثل بسنمار وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق  
فأعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات ،  
فقليل فيه :

جزينا بنى سعد بحسن بلائهم جزاء سنمار وما كان ذا ذنب  
وقال بشائر :

أثنى عليك ولى حال تكذبنى فيما أقول فاستحيى من الناس  
قد قلت ان أبا حفص لا كرم من يمشى فخاصمنى فى ذاك أفلاسى  
حتى اذا قيل ما أعطاك من صفد  
طأطأت من سوء حالى عندها راسى

ولأبى الهول :

كأنى أذ مدحتك يا ابن معن رآنى الناس فى رمضان أزنى  
فإنك رحت عنك بغير شيء فلا تفرح كذلك كان ظنى  
وقال آخر :

لحى الله قوما أعجبتهم مدائعى فقالوا مقالا فى ملام وفى عتب  
أبا حزم تمسح ، فقلت معذرا  
هبونى أمرا جربت سيفى على كلب

وقال آخر :

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن لكنه يشتهى حمدا بمجان  
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا  
حتى يروا عنده آثار احسان

وقال آخر :

يحب المديح أبو خالد      ويفض من صله المادح  
كبكر تحب لذيد لنكاح      وتجزع من صولة الناكح

وقال آخر :

ولو كان يستغنى عن الشكر سيد  
لعزة منك أو علو مكان  
لما أمر الله العباد بشكره      فقال أشكروني أيها الثقلان

## ٩ - معاسن الصدق

قال بعض الحكماء : عليك بالصدق فما السيف القاطع في  
كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق ، والصدق عز وإن كان  
فيه ما تكره . والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب ، ومن عرف  
بالكذب اتهم في صدق . وقيل : الصدق ميزان الله الذي يدور  
عليه العدل ، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور .  
وقال ابن السكيت : ما أحسبني أوجر على ترك الكذب لاني  
أتركه ثقة . وقال آخر : لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة  
لكان بذلك حقيقا ، فكيف وفيه المأثم والعار . وقال الشعبي :  
عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب  
الكذب حيث ترى أنه ينفعك فانه يضرك . وقال بعضهم :  
الصدق عز و لكذب خضوع . ومدح قوم بالصدق منهم أبو ذر  
رضي الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ما أظلت  
الحضراء ولا أقلت الغبراء ، ولا طلعت الشمس على ذي لهجة  
أصدق من أبي ذر ) . و منهم العباس بن عبد المطلب رضي الله  
عنه فانه روى أنه أطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده  
جبريل فقال له جبريل : هذا عمك العباس قال : نعم ، قال أن

الله تعالى : يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه أن اسمه عند الله الصادق وأن له شفاعاة يوم القيامة ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فتبسم فقال : أن شئت أخبرتك مما به تبسمت وإن شئت أن تقوا ، فقل ، فقال : بل تعلمنى يا رسول الله ، فقال : لانك لم تحلف يميناً فى جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ، ولم تقل لسائل : لا قال : والذي بعثك بالحق نبيا ما تبسمت الا لذلك . ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، انى أمتسر بخلال الزنا والسرقه وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركته ، قال : دع الكذب فمضى الرجل فهم بالزنا ، فقال : يسألى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان جحدت نقضت ما جعلته له ، وإن أقررت حددت فلم يزن ، فهم بالسرقه وشرب الخمر ففكر فى ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : قد تركتهن أجمع . فأما من رخص له فى الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لا يصلح الكذب الا فى ثلاث : كذب الرجل لاهله ليرضيها وكذب فى اصلاح ما بين الناس وكذب فى حرب ) . وروى عن المغيرة بن ابراهيم أنه قال : لم يرخص لاحد فى الكذب الا للحجاج بن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يا رسول الله : ان لى عند امرأة من قريش وديعة فأذن لى يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعل أستل وديعتى فرخص له فى ذلك فقدم مكة فأخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا فى أيديهم يأترون فيه فقسائل يقول : يقتل وقائل يقول : لا بل يبعث به الى قومه فتكون مئة ، فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويؤثسون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعباس يريدهم التجمل ، وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال : ويحك ما الذى أخبرت به ؟ فأعلمه السبب ، ثم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وونكح صفية بنت حنى بن أخطب وقتل زوجها وأباها ، ثم قال : اكتم على اليوم وغدا حتى امضى



فقالوا : من أخبرك بهذا ؟ قال من أخبركم بضده .  
( ضده )

قيل : وجد في بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ، ولا لضجور رياسة ، ولا للملول وفاء ، ولا لبخيل صديق . وقال قتيبة بن مسلم : لا تطلبين الحوائج من كذوب ، فانه يقربها وان كانت بعيدة ، ويبعدها وان كانت قريبة ، ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ، ولا الى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك ، وقيل : أمران لا ينفكان من كذب : كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . وقيل : كفاك موبخا على الكذاب علمك بأنه كاذب ، وقال رجل لأبى حنيفة : ما كذبت قط ، قال : أما هذه فواحدة . وفي المثل هو أكذب من أخيد السند ، وذلك انه يؤخذ الحسيس منهم فيزعم أنه ابن الملك . وكذلك يقال : أكذب من سياح خراسان ، لانهم يجتازون في كل بلد ، ويكذبون للسؤال والمسألة . ويقال : هو أكذب من الشيخ الغريب ، وذلك انه يتزوج في الغربية وهو ابن سبعين سنة فيزعم أنه ابن أربعين . ويقال : هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل . ومما قيل في ذلك من الشعر :

حسب الكلوب من البلية      بعض ما يحكى عليه  
ما ان سمعت بكذبة      من غيره نسبت اليه

وقال آخر :

لقد اخلفتني وحلفت حتى      اخالك قد كذبت وان صدقتا  
الا لا تحلفن على كلام      فاكذب ما تكون اذا حلفتا

وقال آخر :

قد كنت انجز دهرنا ما وعنت الى  
ان اتلف الوعد ما جمعت من نشب  
فان اكن صرت في وعنى اخا كذب  
فنصرة الصديق افضت بي الى الكلب

قال الاصمعي : قال الخليل بن سهل : يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مصمت في غلظ الراقود ، فقلت ها هنا اعرابي له معرفة فاذهب بنا اليه فحدثه بهذا ، فذهبت به الى الاعرابي فحدثه ، فقال الاعرابي : قد سمعت بذلك ، وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما ورأسه في حجر أمه فقالت لهما : ما شأنكما ، فقالا : بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فانتبه فزعا من كلامهما فنفضهما فألقاهما الى أصبهان فقبهرهما اليوم بها فقال الخليل : قبحك الله ما أكذبك ، قال : يا بن أخي ما بينا شيئا الا وهو دون الراقود . قيل : وقدم بعض العمال من عمل فدعا قومه الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل «سماعون للكذب ، أكالون للسحت» قيل : وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوي وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة ، فاجتمع عدة منهم

فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شيء من الادب : لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئا ، قال : أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها ، فقالوا : نحن نحتال لك فأخرجوه ، فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلي بن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال : ما عندك من الادب ؟ فقال : ليس عندي من الادب شيء غير اني أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها اني صادق ، وكان ظريفا مليحا فأعجب به وعرض عليه مالا فأبى أن يقبله ، وقال : ما أريد منك الا أن تسهل أذني وتدني مجلسي ، قال : ذاك لك ، وكان من أقرب الناس اليه مجلسا حتى عرف بذلك . وكان المهدي قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله ، وكان يختلف الى علي بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدي ، وكان يرى قرب المديني ومكانه من علي فأتى المديني القائدهشيا فقال : ما البشري ، قال : لك البشري وحكمك ، قال : أرسلني علي ابن يقطين اليك وهو يقرئك السلام ويقول : قد كلمت أمير المؤمنين في أمرك ورضى عنك وأمر بردمالك وضياعك ووبأمرك

بالعدو اليه لتغدو معه الى أمير المؤمنين متشكرا ، فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحملان وغدا على على مع جماعة من وجوه العسكر متشكرا ، فقال له على : وما ذاك ؟ قال : أخبرني أبو فلان - وهو الى جانبه - كلامك أمير المؤمنين في أمرى ورضاه عنى فالتفت الى المدينى وقال : ما هذا ؟ فقال : أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه . فضحك على وقال : على بدابتى وركب الى المهدي وحدثه الحديث ، فضحك المهدي وقال : انا قد رضىنا عن الرجل ورددنا عليه ماله ، وأجرى على المدينى رزقا واسعا واستوصى به خيرا ثم وصله ، وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين .

## ١٠ - محاسن العفو

قيل : أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال : أيها الامير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فأتعلق بأطرافك وأقول : رب سل مصعبا فيم قتلنى ، فقال : أطلقوه فقال : أيها الامير اجعل ما وهبت لى من عمرى فى خفض عيش . فقال : أعطوه مائة ألف درهم . قال : باني أنت وأمى أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا ، قال : لم ؟ قال : لقوله فيك :

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء  
ملكه ملك رافه ليس فيه جيروت ولا له كبرياء

فضحك مصعب وقال : لقد تلطفت وان فيك لموضعا للصنعة ، وأمر له بالمائة ألف ، ولابن قيس الرقيات بخمسين ألف درهم . قيل : وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ، ثم سأل عنه الرشيد ف قيل : هو كثير

الصلاة والدعاء فقال للموكل به : عرض له بأن تكلمني  
وتسألني إطلاقه فقال له الموكل ذلك ، فقال : قل لا مير المؤمنين  
ان كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتي ، والامر قريب ،  
والموعد الصراط ، والحاكم الله فخر الرشيد مغشياً عليه ثم  
أفاق وأمر بإطلاقه . وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه ، فلما  
دخل عليه قال : يا عدو الله انت الذي تفسد في الارض بغير  
الحق يا غلام خذه اليه فاسقه كأس المنية ، فقال : يا أمير  
المؤمنين ان رأيت ان تستبقيني حتى أؤيدك بمال قال لا سبيل  
إلى ذلك فقال : يا أمير المؤمنين فدعني أنشدك أبياتا قال هات  
فأنشده :

زعموا بأن الباز علق مرة      عصفور بر ساقه المقدور  
فتكلم العصفور تحت جناحه      والباز منقض عليه يطير  
ما بى لما يغنى لمثلك شبعة      ولئن أكلت فأننى لحقير  
فتبسم الباز المدل بنفسه      كرما وأطلق ذلك العصفور  
فقال له المأمون : أحسنت ما جرى ذلك على لسانك الالبقية  
بقيت من عمرك فأطلقه وخلع عليه ووصله . وعن بعضهم أن  
إلياً أتى برجل جنى جناية فأمر بضربه فلما مد قال : بحق  
رأس أمك الا ما عفوت عني ، قال : أوجع فقال : بحق خديها  
ونحرها قال : اضرب قال بحق ثدييها قال : اضرب قال : بحق  
سرتها قال : ويلكم دعوه لا ينحدر قليلا . وعن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أنه قال ( ان الرجل اذا ظلم فلم ينتضر ولم  
يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله له لبيك  
عبدى أنصرك عاجلاً وأجلاً ) . وقال صلى الله عليه وسلم في  
قولهم : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً وقد سئل عن ذلك فقيل :  
أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ فقال : نمنعه من الظلم فذلك  
نصره إياه ، وقال فضيل بن عياض : بكى أبى فقلت : ما يبكيك ؟  
فقال : أبكى على ظالمى ومن أخذ مالى أرجمه غداً اذا وقف بين  
يدى الله عز وجل وسأله فلا تكون له حجة . وقال الحسن

البصري : أيها المتصدق على السائل يرحمه ارحم أولا من ظلمت :  
وروى عن عبد الله بن سلام قال : قرأت في بعض الكتب : قال  
الله عز وجل « اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني » .  
قال خالد بن صفوان : اياكم ومجانيق الضعفاء ( يعني الدعاء ) .

### قصته

قيل : لما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم السلمي في وقعته  
بالبشر قوض الله عمادك وأطال سهادك وأقل رقادك فوالله ان  
قتلت الا نساء أسافلهن دمي وأعاليهن ندى ، قال لمن حوله :  
لولا أن تلد مثلها لحليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصري فقال :  
أما الجحاف فجذوة من نار جهنم . قال ولما بنى زياد بناء البصرة  
أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس فأتى برجل تلا آية  
« أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون »  
قال : وما دعاك الى هذا ؟ قال : آية من كتاب الله عز وجل خطرت  
على بالي فتلوتها والله لأعملن فيك بالآية الثانية « واذا بطشتم  
بطشتم جبارين » ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان القصر وقال :  
وبعث زياد الى رجل من بنى تميم فقال : أخبروني بصلحاء  
كل ناحية فأخبروه فأختار منهم رجلا فضمههم الطريق ، وقال  
لو ضاع بيني وبين خراسان حبل لعلمت من لقطه . وكان يدفن  
الناس أحياء وينزع أضلاع اللصوص . قال : وقال عبد الملك  
للحجاج كيف تسير في الناس ؟ قال : انظر الى عجوز أدركت  
زيادا فاسألها عن سيرته فاعمل بها ، فأخذ والله بسنته حتى  
ما ترك منها شيئا . وذكروا أن الحجاج لما أتى المدينة لإرسال  
الى الحسن بن الحسن رضى الله عنه : فقال هات سيف رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال : لا افعل قال : فجاء الحجاج  
بالسيف والسوط فقال : والله لا ضربنك بهذا السوط حتى  
أقطعك ، ثم لا ضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بهما ،  
فقال الناس : يا أبا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال : فجاء  
الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما

بين يدي الحجاج ، فأرسل الحجاج الى رجل من بنى أبى رافع  
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : هل تعرف سيف  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، فخلطه بين أسيافه  
ثم قال : أخرجه ، ثم جاء بالدرع فنظر اليها ، ثم قال : هناك  
علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بحربة  
فخرقت الدرع فعرفناها ، فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج :  
أما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك .  
وذكروا أن الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه : أعسس بنفسك  
فمن وجدته فجئني به فلما أصبح أتاه بثلاثة فقال : أصلح الله  
الامير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة ، فقال الحجاج لواحد منهم :  
ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى المنادى الا يخرج  
أحد بالليل قال : أصلح الله الامير كنت سكران فغلبنى السكر  
فخرجت ولا أعقل ، ففكر ساعة ثم قال : سكران غلبه سكره  
خلو عنه لا تعودن ، ثم قال للآخر : فانت ما كان سبب  
خروجك ؟ قال : أصلح الله الامير كنت مع قوم في  
مجلس يشربون فوقعت بينهم عريضة فخفت على نفسي فخرجت ،  
ففكر الحجاج ساعة فقال : رجل أحب المسألة خلوا عنه ، ثم  
قال للآخر ما كان سبب خروجك ؟ فقال : لى والدة عجوز وأنا  
رجل حمال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي : ما ذقت الى هذا  
الوقت طعاما ولا ذوقا فخرجت التمس لها ذلك فأخذني الحسس ،  
ففكر ساعة ثم قال : يا غلام أضرب عنقه فاذا رأسه بين رجليه .

## ١١ - محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروى : وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبيين :  
من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ، ومن طول فى الحب  
كان فيه عطية ، ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه . قيل ودخل  
ابن الزيات على الإفشين وهو محبوس فقال يخاطبه

اصبر لها صبر أقوام نفوسهم لا تستريح الى عقل ولا قود

فقال الافشين : من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شره  
ووجد الكرامة والهوان ، ثم قال :

لم ينج من خيرها أو شرها أحد

فاذكر شوائبها ان كنت من أحد

خاضت بك النية الحقاء غمرتها

فتلك أمواجهها تدميك بالزبد

ولعل بن الجهم لما حبسه المتوكل :

قالت حبست فقلت ليس بضائري

حبسى وأى مهنه لا يغمد

كبرا وأوباش السباع تردد  
لا تصطلى ان لم تثرها الازند  
أيامه وكأنه متجدد  
الا الثفاف وجذوة فتوقد  
والمال عارية يفاد وينفد  
خطب أذاك به الزمان الانكد  
أجلى لك المكروه عما تحمد  
فنجنا ومات طبيبه والعود  
ويد الخلافة لا تطاولها يد  
شنعاه نعم المنزل المتورد  
لا يستذلك بالحجاب الاعبد  
ويزار فيه ولا يزور ويحمد  
خوف العدا ومخاوف لا تنفد  
أولى بما شرع النبي محمد  
كرمت مغارسكم وطاب المحتد

أو ما رأيت الليث يالف غيلة  
والنار فى أحجارها مخبوة  
والبدرد يدركه الظلام فتنجلى  
والزاعبية لا يقيم كعوبها  
غير الليالى بادئات عود  
لا يؤيسنك من تفرج كربة  
فلكل حال معقب ولربما  
كم من عليل قد تخطاه الردى  
صبرا فان اليوم يعقبه غد  
والحبس ما لم تغشه لدنية  
لو لم يكن فى الحبس الا انه  
بيت يجدد للكريم كرامة  
أبلغ أمير المؤمنين ودونه  
أنتم بنو عم النجى محمد  
ما كان من حسن فأنتم أهله

إمن السوية يا ابن عم محمد  
يا احمد ابن أبى دؤاد انما  
ان الذين سعوا اليك بباطل  
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا  
لو يجمع الخصماء عندك منزل  
والشمس لولا انها محجوبة  
خصم تقربه وآخر يبعد  
تدعى لكل كريمة يا احمد  
أعداء نعمتك التى لا تجحد  
فيما وليس كغائب من يشهد  
يوما لبان لك الطريق الارشد  
عن ناظريك لما أضاء الفرقد

### فصله

أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد  
العزيز ابن أبى حلف قوله :

قالت حبست فقلت خطب أنكد

انحى على به الزمان المرصد

لو كنت حبرا كان سربى مطلقا

ما كنت احبس عنوة وأقيد

لو كنت كالسيف المهند لم يكن

وقت الكريمة والشدائد يغمد

لو كنت كالليث النهصور لما رعت

فى الذئاب وجذوتى تتوقد

من قال ان الحبس بيت كرامة  
نما الحبس الا بيت كل مهانة  
ان زارنى فيه العدو فشامت  
لو زارنى فيه المحب فموجع  
يكفيك ان الحبس بيت لا يرى  
تمضى الليالى لا أذوق لرقدة  
فى مطبق فيه النهار مشاكل  
فالى متى هذا الشقاء مؤكد  
على حجر غير مسندى الذى  
غصبتك شمشية مهجى بنوافل  
فمكاثر فى قوله متجسد  
ومذلة ومكاراة لا تنفد  
يبدى التوجع قارة ويفند  
يذرى البموج بزفرة تتردد  
أحد عليه من الخلائق يحسد  
طعما وكيف يذوق من لا يرقد  
للليل والظلمات فيه سرمد  
والى متى هذا البلاء مجيد  
ما زال يكفلنى فنعم السيد  
من سيبه وصنائع لا تجحد



عشرين حولاً عشت تحت جناحه عيش الملوك وحالتي تبتزأيد  
فخلا العدر بموضعي من قلبه فحشاء جمراً ناره تنوقد  
فاغفر لعبدك ذنبه متطولا فالحد منك سجية لا تعهد

واذكر خصائص خدمتي ومقاومي  
أيام كنت جميع أمري تحمى  
وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب  
رضي الله عنهم :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهائها  
فلسنا من الاموات فيها ولا الاحياء  
إذا دخل السجن يوماً لحاجة  
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا  
إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا  
فإن حسنت كانت بطيئاً مجيئها  
وان قبحت لم تنتظر وأتت سعيها  
وقال آخر :

ألا أحد يدعو لأهل محبته  
مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا  
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم  
ولم يعرفوا غير الشدائد والبلى  
وقال ابن المعتز :

تعلمت في السجن نسج التكب  
وكنت امرأة قبل حبسني ملك  
وقيدت بعد ركوب الجهاد  
وما ذاك إلا : بهور القليلك

الم تبصر الطير في جوها      تكاد تلاصق ذات الحبك  
إذا أبصرته خطوب الزمان      أوقعنه في حبال الشرك  
فهذاك من حالك قد يصاد      ومن قعر بحر يصاد السمك

ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الأرض :  
يأنفس صبرا لعل الخير عقباك      خانتك بعد طول الأمن دنياك  
مرت بنا سحرا طير فقلت لها      طوباك ياليتنى اياك طوباك  
وقال اعرابى :

ولما دخلت السجن كبر اهله      وقالوا ابو ليل الغداة حزين  
وفي الباب مكتوب على صفحاته      بانك تنزو ثم سوف تلين

وفى الحديث المرفوع ( ان يوسف عليه السلام شكّا الى الله تعالى طول الحبس فأوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه ) ولوقلت العافية أحب الى لعوفيت . قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن :  
هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة  
الاصدقاء .

## ١٢ - محاسن المودة

قال بعض الحكماء : ليس للانسان تنعم الا بمودات الاخوان  
وقال آخر : الازدياد من الاخوان زيادة فى الآجال وتوفير لحسن  
الحال . وقيل : عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان  
متم بكوا عليكم . وقال :

قد يمكث الناس حيناً ليس بينهم  
ود فيزرعه التسليم واللف  
يسلى الشقيقين طول النأى بينهما  
وتلتقى شعب شتى فتألف

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لابنه الحسين :  
ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه  
كل المواساة ولا تفش اليه كل الاسرار . وقال العباس بن جرير :  
المودة تعاطف القلوب وأئتلاف الارواح وأنس النفوس ووحشة  
الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى  
حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال .

وقال بعضهم : من لم يؤاخ من الاخوان الا من لاعيب فيه قل  
صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره إياه على نفسه دام  
سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه . وكان يقال : أعجز  
الناس من فرط فى طلب الاخوان . وقال الشاعر فى مثله :

لعمرك ما مال الفتى بدخيرة  
ولكن إخوان الثقات اللخائر

( ضده )

قال المأمون : الاخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغنى  
عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحياناً ، وطبقة كالداء الذى  
لا يحتاج اليه . وكتب بعض الكتاب ان فلاناً أولانى جميلاً من  
البشر مقروناً بلطيف من الخطاب فى بسط وجه ولين كنف ،  
فلما كشفه الامتحان ييسر الحاجة كان كالتسابوت المطلق عليه  
بالذهب ، المملوء بالعذرة أعجبك حسنه ما دام مطبقاً ، فلما فتح  
أذاك نبتنه فلا أبعد الله غيره ، ومما قيل فى ذلك :

والله لو كرهت كفى منامتي

لقلت للكف بيني اذ كسرهتيني

ولو اني تخالفني شمالي      لما اتبعتهما ابدا يميني  
اذن لقطعتها ولقلت بيني      كذلك اجتوى من يحتويني

وقال آخر :

من لم يردك فلا توده      ليكن كمن لم تستفده  
باءد اخاك ببعده      فاذا ناي شبرا فزده  
وقال آخر :

تود عديوي ثم تزعم انني      اودك ان الراي منك لعازب  
وليس اخي من ودي راى عينه      ولكن اخي من ودي وهو غائب

وقال آخر :

ان اختيارك لا عن خبرة سلفت

الا الرجاء ومما يخطئ النظر

كالستغيث يبطن السيل يحسبه

حرزا يبادره اذ به المطر

وقال آخر :

وصاحب كان لي وكنت له      اشفق من والد علي ولد  
وكان لي مؤنسا وكنت له      ليست بنا وحشة الي احيد  
كنا كساق مشيت بها قدم      او كلراع نيطت الي عضد  
حتى اذا امكن الحوادث من      حتى وحل الزمان من عقلي

ازور عنى وكان ينظر من  
حتى اذا استرفت يدى ربه  
عنى ويرمى بساعدى ويلى  
كنت كمسترفد يد الاسد  
وقال آخر :

فيا عجبا لمن ربيت طفلا  
اعلمه الرماية كل يوم  
القمه باطراف البنسان  
فلما اشتد ساعده رمانى  
اعلمه الفتوة كل حين  
فلما طر شاربه جفانى  
اعلمه الرواية كل وقت  
فلما صار شاعرها هجانى

### ١٣ - معاسن الولايات

سئل عمار بن ياسر رضى الله عنه عن الولاية فقال : هي حلوة الرضاع ، مرة الفطام . وذكروا أنه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة ، وقد وفد من أهل المدينة وفد منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان ، فأثنوا على الحجاج وعيسى ساكت ، فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك ، فقام فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين من أنا؟ قال عيسى بن طلحة بن عبيد ، قال : فمن أنت ؟ قال عبد الملك بن مروان : أفجهلتنا أو تغيرت بعدنا؟ قال : وما ذاك؟ قال : وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن نثنى عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وإن قاتلتنا وغلبتنا وأسأت إلينا قطعتم أرحامنا ، ولئن قوينا عليك لنعصبنك ملكك ، فقال له عبد الملك : انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئا ، قال : فقام الى منزله وأصبح الحجاج غاديا الى عيسى بن طلحة فقال : جزاك الله عن خلوتك بأمر المؤمنين خيرا فقد أبدلنى بكم خيرا وأبدلكم بى غيرى وولانى العراق . وعن معمر بن وهيب قال : كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم : اختاروا أى هذين شئتم - يعنى أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك - مكان الحجاج ؟ فكتب إليه الحجاج : يا أمير

المؤمنين أن أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فأعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه ، فقال : صدق ورب الكعبة ، وكتب الى محمد وعبد الله بالسلم والطاعة له .

( ضده )

كتب عبد الصمد بن المغزل الى صديق له ولى النفاطات فاطهر تيهها :

لعمرى لقد اظهرت تيهها كانما  
توليت للفضل بن مروان عكبرا  
دع الكبر واستبق التواضع انه  
قبيح بوال النفط ان يتفيرا  
لحفظ عيون النفط أحدثت نخوة  
فكيف به لو كان مسكا وعنبرا

وقال ابن المعتز :

كم تائه بسولاية      وبعزله يعلو البريد  
سكر الولاية طيب      وخماره صعب شديد

وقال آخر :

لا تفرحن فكل وال يعزل  
وكما عزلت فعن قريب تقتل  
وكلا الزمان بما يسرك تارة  
وبما يسوؤك تارة يتنقل

## ١٤ - محاسن الصعبة

قيل : قال علقمة بن ليث لابنه : يا بني ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من ان صحبته رانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤونة مانك ، وان قلت صديق

قولك وان صلت شدد صولك ، اصحب من اذا مددت اليه يدك  
لفضل مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان بدت منك  
ثلمة سددها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف  
عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق . وقال آخر :  
أصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخريك لزمانه فقد  
وجب عليك حقه وذمامه . وكان يقال : من قبل صلتك فقد  
باعك مروءته وأذل لقدرك عزه . وقال بعضهم لصاحبه : أنا  
أطوع لك من اليد وأذل من النعل . وقال بعضهم : اذا رأيت  
كلبا تبرك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه ،  
وقال ابن أبي دؤاد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيانيات :  
ما خبرك مع صاحبك ؟ فقال لا يقصر في الاحسان الى فقال :  
يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك .

( ضده )

قال كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقيين لهشام بن  
عبد الملك وكان مذموما في عمله فخيرني المدائني قال : وزن  
يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب  
بالعراق بضرب أهلها مائة . قيل وخطب في مسجد الكوفة  
فتكلم انسان مجنون فقال : يا أهل الكوفة ألمأنهكم أن تدخلوا  
مساجدكم المجانيق ، ا ضربوا عنقه فضربت عنقه . قال : وقال  
لهمام بن يحيى وكان عاملا له : يا فاسق خربت مهرجا نقذق ،  
قال : انه لم أكن عليها انما كنت على ماء دينار وعمرت البلاد  
فأعاد ذلك عليه مرارا فقال همام : قد أخبرتك انى كنت على  
ماء دينار وتقول : خربت مهرجا نقذق فلم يزل يعذبه حتى  
مات . وقال لكتابه وقد احتبس عن ديوانه يوما : ما حبسك؟  
قال : اشتكتى ضرسى قال : تشتكى ضرسك وتقعده عن  
الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقلع ضرسين من أضراره .  
وعن المدائني قال : حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من  
بنى عيسى قال : كنت لا أحجب عنه وعن خدمته قدعا ذات يوم

بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حديج ، فقرب اليه واحدة فقال لها : انى أريد الشخصوص ، أفاخلفك أو أشتخصك معى ؟ فقالت : صاحبه الامير أحب الى ولكنى أحسب أن مقامى وتخلفى أعفى وأخضع على قلبه ، فقال : أحببت التخلف للفجور يا حديج ، اضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثانية وقد رأت ما لقيت صاحبها ، فقال لها : انى أريد الشخصوص أفاخلفك أم أخرجك ؟ فقالت : ما أعدل بصحبة الامير شيئا بل تخرجنى ، قال : أحببت الجماع ما تريدان أن يفوتك ليلة يا حديج اضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان ، فقال لها : انى أريد الشخصوص أفاخلفك أم أخرجك . قالت : الامير أعلم لينظر أخف الامرين عليه فليفعله . قال : اختارى لنفسك . قالت : ما عندى اختيار فليختر الامير . قال : قد فرغت من كل عمل فلم يبق لى إلا أن اختار لك أوجعها يا حديج فضربها حتى أوجعها . قال الرجل : فكأنما أوجعنى من شدة غيظى عليه فولت الجارية قتهبها الخادم ، فلما بعثت ، قالت : الخيرة والله فى فراقك ما تقر عين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها ، فقال : ما تقول يا حديج . قال : قالت كذا وكذا ، فقال يا ابن الخبيثة من أمرك أن تعلمنى يا غلام ، خذ السوط من يده فأوجع رأسه فما زال يضربه حتى اشتفى ، فتعرف من الغلام الآخر كم ضربت ؟ قال : لا أدرى . قال : عدو الله أخرج حاصل من بيت مالى من غير حساب أقتلوه فقتلوه .

## ١٥ - محاسن التطير

عن عكرمة قال : كنا جلوسا عند ابن العباس وابن عمر فطارد غراب يصيح فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال ابن العباس : لا خير ولا شر والذي حضرنا من الشعر فى مثله لا يسى الشيطان :



ما فرق الاحباب بعد      سد الله الا الابسل  
والناس يلحون غرا      ب البين لما جهلوا  
وما على ظهر غرا      ب البين تغوى الرجل  
ولا اذا صاح غرا      ب فى الديار ارتحلوا  
وما غراب البين ا      لا ناقة او جمل

وقال آخر :

اترحل عن انت صب بمثله  
وتلحى غرابا البين انك تظلم  
اقم فغراب البين غير مفروق  
ولا يأتى الا على الفصل يحكم

وقال آخر :

غلط الذين رايتهم بجهالة  
يلحون كلهم غرابا ينسحق  
ما الذنب الا للجسمال فانها  
مما يشئت شملهم ويفرق  
ان الغراب بيمنه يدنى النسوى  
وتشئت الشمل الجميع الانيسق

وقال آخر :

لا يعلم المرء ليلما يصبحه  
الا كواذب مما يغبر الفال  
والفال والزجر والكهان كلهم  
مضللون ودون الغيب الفال

( ضده )

حكى عن النعمان بن المنذر أنه خرج متصيذا ومعه على بن  
زيد المبادىء ، فسر بأرام - وهى القبور - فقال على : أبيت  
لكن أنتى ما تقول عنه الأرام ؟ قال : إنها تقول :

ايها الركب المخفون      ن على الارض تمرون  
لكما كنتم فكننا      وكما كنا تكونون  
فقال : أعد فأعادها فترك صيده ورجع كئيبا . وخرج معه  
مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدى : أبيت اللعن  
أتدري ما تقول هذه الآرام ؟ قال : انها تقول :

رب ركب قد اناخوا عندنا  
يشربون الخمر بالماء الزلال  
ثم أضحوا عصف الدهر بهم  
وكذلك الدهر حالا بعد حال  
فانصرف وترك صيده . قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل  
الردة انتهى الى حى من تغلب فأغار عليهم وقتلهم ، وكان رجل  
منهم جالسا على شراب له وهو يغنى بهذا البيت :

الا علاني قبل جيش ابي بكر  
لعل منايانا قريب وما ندرى

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه  
فى الجفنة التى كان يشرب منها . وهذا كقولهم :  
ان البلاء موكل بالمنطق

## ١٦ - محاسن الوفاء

قيل فى المثل : أوفى من فكيهة ، وهى امرأة من بنى قيس  
ابن ثعلبة كان من وفائها أن السليك بن سلكة غزا بكر بن  
وائل فلم يجد غفلة يلتمسها ، فخرج جماعة من بكر فوجدوا  
أثر قدم على الماء فقالوا : أن هذا الأثر قدم ورد الماء ، فقعدوا  
له فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار  
بها فأدخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت اخوتها  
فجاءوا عشرة فمنعوه منها . قال : وكان بسليك يقول : كانى

أجدّ خشونة شعراستها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها ،  
وقال :

لعمر أبيك والانباء تنمى  
لنعم الجار أخت بنى عوارا  
من الخفريات لم تقضح أخاها  
ولم ترفع لوالدها شـنـارا  
عنيت به فكيفهـة حين قامت  
لنصل السيف فانتزعوا الخمارا

ويقال أيضا : هو أوفى من أم جميل ، وهى من رهط ابن أبي  
بردة من دوس ، وكان من وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة  
المخزومي قتل رجلا من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا  
على ضرار بن الخطاب الفهرى ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت  
أم جميل وعاذ بها ، فقامت فى وجوههم ودعت قومها فمنعوه  
لها ، فلما ولى عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة  
فلما انتسبت له عرف القصة فقال : أنى لست بأخيه الا فى  
الاسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه واعطاها على أنها ابنة  
سبيل ويقال : أوفى من السموءل بن عاديا ، وكان من وفائه  
أن أمرا القيس بن حجر لما أراد الخروج الى قيصر استودع  
السموءل دروعا له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك  
الشام فتحرر منه السموءل فأخذ الملك ابنا له خارج الحصن  
وصاح يا سموءل هذا ابنك فى يدى وقد علمت أن أمرا القيس  
ابن عمى وأنا أحق بميراثه فان دفعت الى الدروع والا ذبحت  
ابنك ، فقال : أجلنى فأجله ، فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم  
أشاروا بدفع الدروع وان يستنقذ ابنه ، فلما أصبح أشرف  
عليه وقال : ليس لى الى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت  
صانع ، فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهوديا ، وانصرف  
الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ  
القيس ، وقال فى ذلك :

وفيت بأذرع الكندي انى      اذا ما خان اقوام وفيت  
وقالوا عنده كنز رهيب      فلا وايك اغدر ما مشيت  
بنى لى عاديا حصنا حصينا      وبثرا كلما شئت استقيت

وفى ذلك يقول الاعشى :

كن كالسموءل اذ طاف الهمام به  
فى جعلل كسواد الليل جرار  
بالأبلق الفرد من تيماء منزلة  
حصن حصين وجار غير غدار  
خيره خطتى خسف فقال له  
مهما تقولن فانى سامع حار  
فقال ثكل وغدر انت بينهما  
فاختر فما فيها حظ اختار  
فشمك غير طـويل ثم قال له  
اقتل أسيرك انى مانع جارى

ويقال : أوفى من الحارث بن عباد ، وكان من وفائه أنه أسر  
عدى بن ربيعة ولم يعرفه فقال له : دلنى على عدى بن ربيعة  
ولك الامان فقال : أنا آمن ان دلتك عليه ، قال : نعم . قال :  
فأنا عدى بن ربيعة فخلاه ، وفى ذلك يقول الشاعر :

لهف نفسى على عدى وقد شـا  
رفه الموت واجتـوته النون

ويقال : هو أوفى من عوف بن محلم ، وكان من وفائه ان  
مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضوا جيشه وأسره رجل  
منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه ، فقالت : انك تختال بأسيرك  
كانك جئت بمروان القرظ فقال لها مروان : وما ترجين من  
مروان ؟ قالت : عظم فدائه ، قال : وكم ترجين من فدائه ؟  
قالت : مائة بعير . قال مروان : لك ذلك على أن تردىنى الى

خماعة بنت عوف بن محلم ، قالت : ومن لى بالمائة فأخذ عودا من الارض وقال هذا لك ، فمضت به الى بيت عوف ، فاستجار بخماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى عوف ان يأتيه بمروان وكان واجدا عليه فى شيء ، فقال عوف لرسوله : ان خماعة ابنتى قد أجارته ، فقال : ان الملك قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كفه فى كفه ، فقال عوف : يفعل ذلك على أن تكون كفى بين أيديهما ، فأجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده فى يده ووضع يده بين أيديهما فعفا عنه . ومنهم الطائى صاحب النعمان ابن المنذر ، وكان من وفائه أن النعمان ركب فى يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم لم يلقه أحد فى يوم بؤسه الا قتله ولا فى يوم نعيمه الا أحياء وحباه وأعطاه ، فاستقبله فى يوم بؤسه اعرابى من طيء فقال : حيا الله الملك ان لى صبية صفارا لم أوص بهم أحدا فان رأى الملك أن يأذن لى فى اتيانهم وأعطيه عهد الله أن أرجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدى فى يده ، فرق له النعمان وقال له : لا الا أن يضمك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائى وقال :

يا شريك ابن عمرو	هل من الموت محالة
يا أخا كل مضاف	يا أخا من لا أخاله
يا أخا النعمان فك الـ	يوم عن شيخ غلاله
ابن شيبان قبيل	أصلح الله فعـاله

فقال شريك : هو على أصلح الله الملك ، فمضى الطائى وأجل له أجلا يأتى فيه ، فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له : ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول : ليس لك على سبيل حتى نمسى فلما أمسوا أقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك ، فقال شريك : ليس لك على سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبى ، فبينما هما كذلك اذ أقبل الطائى

فقال النعمان : والله ما رأيت أكرم منكما وما أدري أيكما أكرم  
 .. أهذا الذى ضمنك وهو الموت أم أنت وقد رجعت الى القتل؟  
 والله لا أكون الأئم الثلاثة فأطلقه وأمر برفع يوم بؤسه، وأنشد  
 الطائي :

ولقد دعنتى للخلاف عشيرتى      فأبيت عند تجهم الاقوال  
 انى امرؤ منى الوفاء سجية      وفعال كل مهذب بذال

فقال النعمان : ما حملك على الوفاء ، قال : دينى ، قال :  
 وما دينك؟ قال : النصرانية ، قال : اعرضها على فعرضها عليه  
 فتنصر النعمان .

( ضده )

قيل : كتب صاحب بريد همذان الى المأمون وهو بخراسان  
 يعلمه أن كاتب صاحب البريد المعزول أخبره أن صاحبه وصاحب  
 الخراج كانا تواطأ على اخراج مائتى ألف درهم من بيت المال  
 وأقسماها بينهما ، فوقع المأمون : انا نرى قبول السعاية شرا  
 من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل  
 على شيء كمن قبله وأجازة ، فأنف الساعى عند ذلك وقال :  
 يا أمير المؤمنين رضى الله عنك المعذرة فان الساعى وان كان فى  
 سعائته صادقا ، لقد كان فى صدقه لثيما، اذ لم يحفظ الحرمة  
 ولم يف لصاحبه . قال : ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك  
 فقال : يا أمير المؤمنين عندى نصيحة ، قال : وما نصيحتك  
 هذه ؟ قال : فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك  
 والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة جليلة فمر  
 باستخراجها منه ، قال : انت شر منه وأخون حيث أطلعت على  
 أمره وأظهرته ولولا انى أنقر النصاح لعاقبتك ولكن اختر منى  
 خصلة من ثلاث ، قال : اعرضهن يا أمير المؤمنين ، قال : ان  
 شئت فتشنا عما ذكرت ، فان كنت صادقا مقتناك ، وان كنت  
 كاذبا عاقبناك ، وان استقبلت أفلناك ، فاستقال الرجل .

## ١٧ - محاسن السخاء

روى عن : نافع قال : لقي يحيى بن زكريا عليه السلام ابليس لعنه الله فقال : أخرنى بأحب الناس إليك وأبغضهم إليك . قال : أحبهم الى كل مؤمن بخيل وأبغضهم الى كل منافق سخي قال : ولم ذاك ؟ قال : لأن السخاء خلق الله الاعظم فأحشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ، والجاهل سخي أحب الى الله عز وجل من عابد بخيل وأدوا الداء البخل ) وقال صلى الله وسلم ( ما أشرقت شمس الا ومعها ملكان يناديان يسمعان الحلائق غير الحن والانس وهما النقلان : اللهم عجل لمنفق خلفا ولمسك تلقا وملكان يناديان : أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ) وعن الشعبي قال : قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد بن عبد الملك : لو كان البخل قميصا ما لبسته أو طريقا ما سلكتها ، وكانت تعتق في كل يوم رقبة ، وتحمل على فرس في سبيل الله ، وكانت تقول : البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة .

وقيل اعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة : وقال بعض الحكماء : ثواب الجود خلف ومجبة ومكافأة ، وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ( يا علي كن شجاعا فان الله يحب الشجاع ، وكن سخيا فان الله يحب السخي ، وكن غيورا فان الله يحب الغيور يا علي ، وان انسان سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت أهلا لها ) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مد به الى الجنة ) ، وقال عبد العزيز بن مروان : لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم الأسوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيما ، وقال صلى الله عليه وسلم ( تجافوا عن ذنب السخي فان الله أخذ بيده كلما أثر ) . وقال بهرام جور : من أحب أن يعرف

فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة ، والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله في الجنان فانه لولا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه وقال الموبذان لابرويز : اكنتم تمنون انتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه المكافاة ؟ قال لا : ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفي كتاب ديننا من فعل معروف خفيا وظهره ليتطيل به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب الا نعه من الابرار ولا نذكره في الاتقياء والصالحين ؟ قيل : وسئل الاسكندر ما اكبر ما شيدت به ملكك ؟ قال : وكتب ابتدأرى الى اصطناع الرجال والاحسان اليهم . قال : وكتب ارسطاطا ايس في رسالته الى الاسكندر : واعلم ان الايام تأتي على كل شيء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال الا ما رسخ في قلوب الناس فأودع قلوبهم محبة أبدية تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك . قال : ولما قدم بزرجمهر الى القتل قيل له : أنك في آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به فقال : أى شيء أقول ؟ الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن يكون حديثا حسنا فلا فعل . قيل : وتنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر أعرابي في الضيافة فقال الأعرابي : نحن أقرى للضيف . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لان أحدهما ربما لا يملك الا بعيرا فاذا حل به ضيف نحره له ، فقال له الاجمي : فنحن أحسن مذهبا في القرى منكم ، قال : وما ذاك ؟ قال : نحن نسمى الضيف مهمان ومعناه : انه أكبر من في المنزل وأملكنا به ؟ وقال بعض الحكماء : بلغ الجود من قام بالمجهود . وقيل : الجواد من لم يرضن بالموجود . وقال المأمون : الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود . قيل : وشكا رجل الى اياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس وينفق . قال : أن النفقة داعية الرزق وكان جالسا على باب فقال للرجل أغلق هذا . بناب فأغلقه فقال : هل تدخل فيه الريح ؟ قال : لا . قال : فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق في البيت فقال :



هكذا الرزق أغنقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق . قيل : ورصل المأمون محمد بن عياد المهلبى بمائة ألف دينار ففرقها على .خوانه فبلغ ذلك المأمون فقال : يا أبا عبد الله ان بيوت الاموال لا تقوم بهذا . فقال يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء انظن بالمعبود . وعن أمية ابن يزيد الاموى قال : كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج ، فقال له قولاً ضعيفاً فيه وعد وقلة طماع ، فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال أعطه أربعمائة دينار فاستكثرناها وقلنا : كنت رددت عليه رداً نننا انك تعطيه شيئاً قليلاً فاذا أنت أعطيته أكثر مما امل ، فقال : انى احب ان يكون فعلى أحسن من قولى . وبحاتم يضرب المثل فى السخاء ، فحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل : كان حاتم جوداً شاعراً وكان حيثما نزل عرف منزله وكان ظفراً اذا قاتل غلب واذا غنم نجب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق ، وكان أقسم ألا يقتل واحداً منه ، قيل : ولما بلغ حاتماً قول المتلمس الضبعى .

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد  
وحفظ المال أيسر من بغاه وضرب فى البلاد بغير زاد

فقال : ما له قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال :

فلا الجود يفنى المال قبل فنائه ولا البخل فى مال الشحيح يزيد  
فلا تلمس رزقاً بعيش مقتر لكل غد رزقاً يعوود جديد  
الم تر أن الرزق غاد ورائح وأن الذى أعطاك سوف يعيد

قيل : ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحمر ناقة الضيف وعشاء وغداء وقال : انك قد أقرضتني ناقتك فاحتكم على . قال : راحلتين . قال : لك عشرون أرضيت ؟ مال : نعم وفوق الرضى . قال : لك أربعون . ثم قال لمن بحضرته من قومه : من أئانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة ، فأتوه

بأربعين فدفعها الى الضيف . وحكوا عن حاتم أنه خرج  
فى الشهر الحرام يطلب حاجة ، فلما كان بأرض عنزة ناداه  
أسير فيهم : يا أبا سفانة قد أكلنى الاسار والقمل . قال :  
والله ما أنا فى بلادى ولا معى شيء ، وقد أسأت الى أن نوهت  
باسمى ، فذهب الى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم  
وقال : خلوا عنه وأنا أقيم مكانه فى قيده حتى أودى فداه ،  
ففعلوا فأتاهم بفداء . قيل : ولما مات حاتم خرج رجل من  
بنى أسد يعرف بأبى الخيبرى فى نفر من قومه ، وذلك قبل  
أن يعلم كثير من العرب بموته فأنخوا بقبره فقال : والله  
لا أحلفن للعرب أنى نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل  
وجعل يضرب القبر برجله ويقول :

عجل أبا سـفـانـة قـراكا فسوف أنبى سائلى ثناكا  
فقال بعضهم : مالك تنادى رمة وباتوا مكانهم ، فقام صاحب  
القول من نومه مذعورا فقال : يا قوم عليكم مطاياكم فان حاتما  
أتانى فأنشدنى :

أبا الخيبرى وأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتامها  
فماذا أردت الى رمة بدوية صخبث هامها  
تبغى أذاها واعسارها وحولك طى وأنعامها  
وانا لننعم أضـيافنا من الكوم بالسيف نعتامها

وقيل فى المثل : هو أجود من كعب بن مامة ، وكان من ابياد  
وبلغ من جوده أنه خرج فى ركب فيهم رجل من بنى النمر  
ابن قاسط فى شهر ناجر ، وألجأهم العطش فضلوا فتصافوا  
ماءهم فجعل النمرى يشرب نصيبه ، فاذا أراد كعب أن يشرب  
نصيبه قال : آثر أخاك النمرى فيؤثره حتى أضرب به العطش ،  
فلما رأى ذلك استحث ناقته وبادر حتى رفعت له أعلام الماء  
وقيل له : رد كعب فانك وراذ فمات قبل أن يرد ونجا رفيقه ،  
ومن قول أبى تمام :

هو البحر من أى النواحي أتيت  
كريم إذا ماجئت للعرف طالبا  
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه  
وللبحتري :

لو أن كفك لم تجسد لمؤمل  
ولو أن مجدك لم يكن متقادما  
لكفاه عاجل وجهك المتهلل  
أغناك آخر سؤدد عن أول

ولبكر بن النطاح فى أبى دلف :

بطل بصدر حسامه وسنانه  
ورث المكارم وابتناها قاسم  
يا عصمة العرب التى لولم تكن  
ان العيون اذا رأتك حدادها  
واذا رميت الشجر منك بعزيمة  
وكان رمحك منقع فى عصفر  
لوصال من غضب أبودلف على  
أورى ونور للعداوة والهوى  
أجلان من صدر ومن ايراد  
بصفائح وأسنة وجياد  
حيا اذا كانت بغير عماد  
رجعت من الأجلال غير حداد  
فتحت منه مواضع الأسداد  
وكان سيفك سل من فرصاد  
بيض السيوف لذبى فى الاغمار  
نارين : نار دم ونار زناد

قال أبو هفان : أنشدت هذه الابيات عبدالعزيز بن أبى دلف  
بسر من رأى ، فقال : هل سمعت بمثل هذه الابيات ؟ قلت : لا  
قال : ولغيره فى أبى دلف :

ولو يجوز لقال الناس كلهم  
قال ابن يحيى النديم : دعانى المتوكل ذات يوم وهو مخمور  
فقال : أنشدنى قول عمارة فى أهل بغداد فأنشدته :  
من يشتري منى ملوك مخرم  
أبع حسنا وابنى هشام بدرهم

وأعطى رجاء بعد ذاك زيادة وأمنح دينارا بغير تندم  
فان طلبوا منى الزيادة زدتهم أبا دلف والمستطيل بن أكثم

فقال المتوكل : ويلي على ابن البوال على عقبيه يهجو شقيق  
دولة العباس . قال فهل عندك من المدح فى أبى دلف القاسم  
بن عيسى شىء ؟ قلت : يا أمير المؤمنين قول الاعرابى الذى  
يقول فيه :

أبا دلف ان السماحة لم تزل مغلة تشكو الى الله غلها  
فبشرها ربى بميلاد قاسم فأرسل جبريلا اليها فحلها  
وقال غيره :

حر اذا جئته يوما لتسأله أعطاك ماملكت كفاء واعتذرا  
يخفى صنائعه والله يظهرها ان الجميل اذا أخفيته ظهرا  
وقال آخر :

فتى عاهد الرحمن فى بذل ماله  
فليس تراه الدهر الا على العهد  
فتى قصرت آماله عن فعـاله  
فلست تراه الدهر الا على العهد  
وقال آخر :

اذا ما أتاه السائلون توقدت عليه مصابيح الطلاقة والبشر  
له فى ذرى المعروف نعمى كأنها مواقع ماء المزن فى البلد القفر  
وقال آخر :

عاد السرور اليك فى الاعياد وسعدت من دنياك بالاسعاد  
رفقا بعبد جل ما أوليته رفقا ففسد أثقلته بأيادى

ملاً النفوس مهابة ومحبة  
ما ان ارى لك مشبها فيمن ارى  
بدر بدا متغمرًا بسواد  
ان الكرام قليلة الانداه  
وقال في ابن ابي دؤاد :

بدا حين ائرى باخوانه  
وحذره الحزم صرف الزمان  
فقلل عنهم شبابة العدم  
فيادر قبل انتقال النعم  
فليس وان بخل الباخلو  
ولا ينكت الارض عند السؤال  
ن يقرع سنا له من ندم  
ليمنع سؤاله عن نعم

ويروى في الحديث : انه لا يجتمع الشح والايمان في قلب  
عبد صالح أبدا . ويقولون : الشحيح أغدر من الظالم أقسم الله  
بعزته لا يساكنه بخیل في جنته . وقال النبي صلى الله عليه  
وسلم : ( من فتح له باب من الخير فلينتزهه فانه لا يدري متى  
يغلق عنه ) . وقال الشاعر في ذلك :

ليس في كل ساعة وأوان  
فاذا أمكنت تقدمت فيها  
تتها صنائع الاحسان  
حذرا من تعذر الامكان

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه : أن أمير  
المؤمنين عليا صلوات الله عليه بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد  
يسأله مالا فانطلق به الى منزله ، فوجد في الطريق صوفا فأخذه  
ومر بقطعة كساء فأخذها ، فلما صار الى المنزل أعطاه طرف  
الصوف فجعل يقتله حتى صيره خيطا ، ثم دعا بغرارة مخرقة  
فرقعها بالكساء وخيطها بالخيط وصر فيها ثلاثين ألف درهم  
فحملت معه . قال : وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى  
رحمه الله يسألونه في حمالة فصادفوه في حائط له يتتبع  
ما يسقط من الثمر فيعزل جيده ورديئه على حدة ، فهموا بأن  
يرجعوا عنه وقالوا : مانظن عنده خيرا ثم كلموه فأعطاهم ،  
فقال رجل من القوم : لقد رأيناك تصنع شيئا لا يشبه فعالك .

فَقِيَال : وماذاك ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ : اِنَّ الذِّى رَأَيْتُمْ يَثُولُ اِلَى  
اجْتِمَاعٍ مَا يَنْفَعُ وَيَنْمُو • وَمِنْهَا قِيْلَ : الذُّودُ اِلَى الذُّودِ اِبْلُ  
وَأَنْشَدُوا :

رَبِّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرٍ      وَفَى الْبَحُورِ تَفَرَّقَ الْبَحُورُ  
وَقَدْ آخِرَ :

قَدْ يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ      وَأَمَّا الْقَرْمُ مِنَ الْإِفْسِيلِ  
وَسَحَقُ النَّخِيلِ مِنَ الْفَسِيلِ

قَالَ : وَآتَى رَجُلٌ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فَسَأَلَهُ حِمَالَةً فَرَأَاهُ يَهْنَأُ  
بِعِيرَاهُ ، فَقَالَ : يَا غَلَامُ أَخْرِجْ إِلَيْهِ بَدْرَةً فَقَبْضُهَا ، وَقَالَ : أَرَدْتُ  
أَنْ أَنْصَرِفَ حِينَ رَأَيْتُكَ تَهْنَأُ الْبَعِيرَ • فَقَالَ : أَنَا لَا نَضِيعُ الصَّغِيرَ  
وَلَا يَتَعَاطَمُنَا الْكَبِيرُ •

## ١٨ - مَسَاوِيءُ الْبَخْلِ

الْمَثَلُ النَّائِرُ فِي الْبَخْلِ : هُوَ أَبْخَلُ مِنْ مَادَرٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ  
بَنِي هَلَالٍ ابْنِ عَامِرٍ بَلَغَ مِنْ بَخْلِهِ أَنَّهُ كَانَ يَسْقَى ابْنَهُ فَبَقِيَ

فِي أَسْفَلِ الْحَوْضِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَسَلَحَ فِيهِ وَمَدَرَ الْحَوْضَ بِهِ فَسَمِيَ  
مَادَرًا • وَذَكَرُوا أَنَّ بَنِي هَلَالٍ وَبَنِي فَزَارَةَ تَنَافَرُوا إِلَى أَنْسَ  
بْنِ مَدْرَكٍ وَتَرَاثَمُوا بِهِ ، فَقَالَ بَنُو هَلَالٍ : يَا بَنِي فَزَارَةَ أَكَلْتُمْ  
إِيرَ الْحِمَارِ ، فَقَالَ بَنُو فَزَارَةَ : لَمْ نَعْرِفْهُ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ  
أَنَّ ثَلَاثَةً اصْطَحَبُوا : فَزَارِي ، وَثَعْلَبِي ، وَكَلَابِي ، فَصَادَفُوا  
حِمَارًا وَحَشَّ ، وَمَضَى الْفَزَارِيُّ فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ ، فَطَبَخَا وَآكَلَا  
وَخَبَا لِلْفَزَارِيِّ إِيرَ الْحِمَارِ • فَلَمَّا رَجَعَ قَالَا : قَدْ خَبَأْنَا لَكَ حَقِّكَ  
فَكُلْ ، فَأَقْبَلَ يَأْكُلُ وَلَا يَسِيغُهُ ، فَجَعَلَا يَضْحَكَانِ • فَطَفَنَ وَآخَذَ  
الْكَمِيفَ وَقَامَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ : لَتَأْكُلَانِ مِنْهُ أَوْ لَا تَقْتُلُنِيكُمَا فَاثْمَنَمَا  
فَضْرَبَ أَحَدَهُمَا فَجَعَلَهُ وَتَنَاقَلَ الْآخَرُ فَأَكَلَ مِنْهُ ، فَقَالَ فِيهِمْ  
الشَّاعِرُ :

نشدتك يا فزار وأنت شيخ إذا خيرت تخطيء في الخيار

فقال بنو فزار : منكم يا بني هلال من ستقى ابله فلما رويت  
سلح في الحوض ومدوه بخلا ، فنفرهم أنس بن مدرك على  
الهلالين . فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير ، وكانوا قد تراهنوا  
عليها ، وفي بني هلال يقول الشاعر :

ولكن يرى مشرقا وجهه ليرغم في ماله من رغم

لقد جللت خزيا هلال بن عامر

بني عامر طرا بسلحة مادر

فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها

بني عامر أنتم شرار العشائر

وفي المثل : هو أبخل من أبي حباب ، وهو رجل في الجاهلية  
بلغ من بخله أنه كان يسرج السراج ، فإذا أراد أحد أن يأخذ  
منه أظفاه ، فضرب به المثل . ومنهم من صاحب نجيع بن سلكة  
اليربوعي فانه ذكر : أن نجيعا اليربوعي خرج يوما يهضبه  
فعرض له حمار وحش فاتبه حتى دفع الى أكمة ، فإذا هو  
برجل أعمى أسود قاغد في أطمار بين يديه ذهب وفضة ودر  
وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى  
ألقاه ، فقال : يا هذا ما هذا الذي بين يديك وكيف استطاع  
أخذه وهل هو لك أم لفيرك فاني أعجب مما أرى ، أجواد أنت  
فتجود لنا أم بخل فاعذرك ؟ . فقال الأعمى : اطلب رجلا  
فقد منذ سنين هو ساعد بن خشرم بن شماس فأتني به نعطك  
ماتشاء ، فانطلق نجيع مبرعا قد استطير فؤاده حتى وصل  
الى قومه ، ودخل خبائه ووضع رأسه فنام لما به من التعب  
لا يدري من ساعد بن خشرم ، فأتاه آت في منامه فقال له :  
يا نجيع ان ساعد بن خشرم في حي بني مغلم من ولد ذهل

ابن شيبان ، فسأل عن بنى محلم ثم سأل عن خشرم بن شماس  
فأذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحياه نجيع فرد عليه  
السلام ، فقال له نجيع : من أنت ؟ قال : أنا خشرم بن شماس  
قال له : فأين ولدك سعد ؟ قال : خرج في طلب نجيع اليربوعي  
وذلك أن آتيا أتاه في منسامة فحدثه أن مالا له في نواحي  
بنى يربوع لا يعلم به إلا نجيع اليربوعي ، فضرب نجيع فرسه  
ومضى وهو يقول :

أطلبني من قد عناني طلابه      فياليتني ألقاك سعد بن خشرم

أتيت بنى يربوع تبغى لقاءنا      وجئت لكى ألقاك حى محلم

فلما دنا من محلته استقبله سعد ، فقال له نجيع : أيها  
الراكب هل لقيت سعدا في بنى يربوع ؟ قال : أنا سعد فهل  
تدل على نجيع ؟ قال : أنا نجيع وحدثه بالحديث ، فقال :  
الدال على الخير كفاعله - وهو أول من قالها - فانطلقا حتى  
أتيا ذلك المكان ، فتواري الرجل الاعمى عنهما وترك المال  
فاخذه سعد كله ، فقال نجيع : ياسعد قاسمني ، فقال له  
أطوعنى وعن مالى كشحا ، وأبى أن يعطيه شيئا ، فانتضى  
نجيع سيفه فجعل يضربه حتى برد ، فلما وقع قتिला تحول  
الرجل الحافظ للمال سعلاة ، فأسرع فى أكل سعد وعاد المال  
الى مكانه ، فلما رأى نجيع ذلك ولى هاربا الى قومه . قيل :  
وكان أبو عبس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم فى يده نقره  
بأصبعه ، ثم يقول : كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت  
فيها . الآن استقر بك القرار واطمانت بك الدار ، ثم يرمى به  
فى صندوقه ، فيكون آخر العهد به . قيل : ونظر سليمان  
بن مزاحم الى درهم فقال فى شق : لا اله الا الله ، وفى شق :  
محمد رسول الله ماينبغى أن تكون الا معاذة وقذفة فى صندوقه .  
وذكروا أنه كان بالرى عامل على الخراج يقال له المسيب ، فاتاه



شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئا ، ثم سعل سعلة فضرط ، فقال  
الشاعر :

أتيت المسيب فى حاجة فما زال يسعل حتى ضرط  
فقال غلطنا حساب الخراج فقلت من الضرط جاء الغلط

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل . قال :  
وكتب أرسطاطاليس الى رجل بشئ فلم يفعل ، فكتب اليه :  
ان كنت أردت فلم تقدر فمعدور ، وان كنت قد قدرت ولم ترد  
فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر .

قال : وسمع أبو الاسود الدؤلى رجلا يقول : من يعنى  
الجانح ؟ فعشاه ، ثم قام الرجل ليخرج فقال : هيهات تخرج  
فتؤذى الناس كما أذيتنى ، ووضع رجله فى الادهم حتى  
أصبح ، قال : وكان رجل يأتى ابن المقفع فيلج عليه وسأله  
أن يتغذى عنده ويقول : لعلك تظن أنى أتكلف لك شيئا والله  
لا أقدم لك الا ما عندى ، فلما أتاه لم يجد فى بيته الا كسرا  
يابسة وملح جريش . وجاء سائل الى الباب فقال له : وسع الله  
عليك ، فلم يذهب فقال : والله لئن خرجت اليك لادقن رأسك ،  
فقال ابن المقفع للسائل : ويحك لو عرفت من صدق وعيده  
ما أعرف من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين !  
قال : وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال  
يستسلفه ، فكتب اليه : العيال كثير والدخل قليل والمال  
مكذوب عليه ، فكتب اليه : ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا ،  
وان كنت صادقا فجعلك الله معذورا . وكتب آخر الى آخر  
يصف رجلا : أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان كأنك  
هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل ، فان حسن  
الظن به لا يقع فى الوهم الا بخذلان الله ، والطمع فيما عنده  
لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله ، والرجاء فيما

في يسه لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله . انه يرى الايثار الذي يرضى به التبذير الذي يعاقب عليه ، والاقتصاد الذي أمر به الاسراف الذي يعاقب عليه ، وان بنى اسرائيل لم يستبدلوا العنس والبصل بالمن والسلوى الا للؤم أخلاقهم وقديم دناءتهم ، وأن الصنيعة مرفوعة ، والصلة موضوعة ، والهبة مكروهة ، والصدقة منحوسة ، والتوسع ضلالة ، والجود فسوق ، والسخاء من همزات الشياطين ، وأن مواصلة الرجال من الذنوب الموبقة ، والافضال عليهم من احدى الكبائر . وأيم الله انه يقول : ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن أثر على نفسه فقد ضل ضللا بعيدا ، كأنه لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الذين قطع الله أديارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم ، وان الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم ، ولا أهلكك الريح عادا الا لتوسع كان منهم ، فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ، ويعد نفسه خاسرا أو يعدها الفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر ، وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى . فأقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا وياك خيرا منه زكاة وأقرب رحما . ول بعض الكتاب : أما بعد فان كثير المواعيد من غير نجاح عار على المطلوب اليه ، وقتلتها مع نجاح الحاجة مكرمة من صاحبها ، وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نجاح لها حتى كأننا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح كقول القائل :

لا تجعلها ككمون بمزرعة ان فاته المساء أروته المواعيد

وكتب آخر : مارأيت مثلي طيب قولك أمره سوء فعلك ، ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ، ولا مثل قرب عدتك بإعياها إفراط مطلقك ، ولا مثل أنس مذاهبك أوحش منه اختبار عواقبك ، حتي كان الدهر أودعك لطيف الحيلة بالمكر أهل الحيلة ، وحنانه زينك فيه بالجديعة لتدرك منهم فرصة

الهلكة • وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل ، ووعد اللئيم  
مطل وتأجيل • وقال بعضهم : وعدتنا مواعيد عرقوب ، ومطلتنا  
مطل نعاس الكلب ، وغررتنا غرور السراب ، ومنيتنا أمانى  
الكمون • ولبعضهم : أما بعد ، فلا تدعى معلقا بوعدك فاعذر  
الجميل أحسن من المطل الطويل ، فان كنت تريد الانعام فانجح  
وان تعذرت الحاجة فأوضح واعلمنى ذلك لا تصرف وجه الطلب  
الى غيرك • وذكرنا أن فتى من مراد كان يختلف الى عمرو  
ابن العاص ، فقال له ذات يوم : ألك امرأة ؟ قال : لا ، قال :  
فتزوج وعلى المهر ، فرجع الى أمه فأخبرها الخبر فقالت :

إذا حدثتك النفس أنك قادر

على ما حوت أيدي الرجال فكذب

فتزوج وأتى عمرا بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز وعده ،  
فشكا ذلك الى أمه فقالت :

لاتغضبني على امرئ في ماله وعلى كرائم حر مالك فاغضب

ووصف اعرابى رجلا فقال له : بشر مطعم ومطل مؤيس  
وكنت منه أبدا بين الطمع واليأس لا بذل سريح ولا مطل  
مريح ، وقال اعرابى : أنا من فلان فى أمانى تهبط العصم  
وخلف يذكر العدم ، ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذب  
علق نفسه لديه وأتعب راحلته إليه ، وذكر اعرابى رجلا فقال  
له : مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس  
ويقال سرعة اليأس أحد النجحين ، وقال بعضهم : مواعيد  
فلان مواعيد عرقوب ، ولمع الآل وبرق الخلب ، وأمانى الكمون  
ونار الجباحب ، وصلف تحت الراعدة ، ومما قيل فى ذلك :

أروح وأغدو نحوكم فى حوائجى

فأصبح فيها غدوة كالذى أمسى

وقد كنت أرجو للصديق شفاعتي  
فقد صرت أرضى أن أشفع في نفسي

ولأبي نواس :

وعدتني وعدك حتى أذا      أطمعني في كنز قارون  
جئت من الليل بغسالة      تغسل ما قلت بصابون

ولأبي تمام :

يحتاج من يرتجى نوالكم      إلى ثلاث من غير تكذيب  
كنوز قارون أن تكون له      وعمر نوح وصبر أيوب

وقال آخر :

اني رأيت من المكارم حسبكم  
أن تلبسوا خز للثياب وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت :

أني لأعجب من قول غررت به  
حلو يمد إليه السمع والبصر  
لو تسمع العصم من صم الجبال به  
ظلت من الراسيات العصم تنحدر  
كالخمر والشهد يجري فوق ظاهره  
وما لباطنه طعم ولا خبر  
وكالسراب شبيها بالغدير وان  
تبغ السراب فلا عين ولا أثر  
ولا ينبت العشب عن برق وراعدة  
غراه ليس لها سيل ولا مطر

وقال آخر :

رأيت أبا عثمان يبذل عرضه  
وخبز أبي عثمان في أحرز الحرز

يحن الى جاراته بعد مسجعه  
وجاراته غرني نحن الى الحبز

وقال آخر :

ما كنت أحسب أن الحبز فاكهة  
حتى نزلت على أوفى بن منصور  
الحابس الروث في أعفاج بقلته  
خوفا على الحب من لقط للعصافير

وقال آخر :

نوالك دونه خرط القتلاد  
وخبزك كالثرىا فى البعاد  
ترى الاصلاح صومك لا لنسك  
وكسر الحبز من عمل الفساد  
أرى عمر الرغبة يطول جدا  
لديك كانه من قوم عاد

وقال آخر :

اللؤم منك على الطعام طباع  
فعيال بيتك ما حييت جيع  
واذا يمر بباب دارك سائل  
حملت عليه نوابج وسباع  
وعلى رغيفك حية مسمومة  
وعلى خوانك عقرب وشجاع

وقال آخر :

ياتارك البيت على الضيف  
وهاربا عنه من الخوف

ضيفك قد جاء يخيـز له  
 فارجع وكن ضيفا على الضيف  
 اذا انتهى الضيف طبيخ الشتاء  
 اتاه بالشهوة فى الصيف  
 وان دنا المسكين من بابه  
 شد على المسكين بالسيف

وقال آخر :

رأى ضيفك بالدار      وكرب الجوع يغشاه  
 على خبزك مكتوبا      ســـــيكفيكم الله

وقال آخر :

لا بى نوح وغيف      أبدا فى حجر داية  
 أبدا يمسحه الدم      ر بكم ووقايه  
 وله كاتب سر      خط فيه بعناية  
 فســـــيكفيكم الله      الى آخر الآيه

وقال آخر :

الخبز يبطى حين يدعو به      كأنه يقدم من قاف  
 ويمدح الملح لأصحابه      يقول هذا ملح سيراف  
 بيان أكل الخبز فى داره      وقلع عينيه بخطاف

وقال آخر :

فتى لا يغار على عرسه      ولكن يغار على خبزه  
 فمنه يد الجود مقبوضة      وكف السماحة فى عجزه

وقال آخر :

يصنونون أثوابهم فى التخوت      وأزواجهم بذلة فى السكك  
 ينـجـون من رام رغفانهم      ويدنون من رام حل التـكـك

وقال آخر :

أما الرغيف على الخوان      فمن حمامات الخرام  
ما ان يجس ولا يمس      ولا يذاق ولا يشم  
فتراه أخضر يابساً      بالى النقوش من الهرم

وقال آخر :

أتينا أبا طاهر مفطرين      الى داره فرجعنا صياما  
وجاء بخبز له حامض      فقلت دعوه وموتوا كراما

وقال آخر :

يخل بالساء ولو أنه      منغمس في وسط النيل  
شحا فلا تطمع في خبزه      ولو تشفعت بجبريل  
وعن حذيفة بن محمد الطائي قال : قال الرشيد ما لأحد  
من المولدين ما لأبي نواس في الهجاء :

وما روحتنا لتذب عنا      ولكن خفت مرزئة الذباب  
شراك كالسراب اذا التقينا      وخبزك عند منقطع التراب

وقال آخر :

خان عهدي عمرو وما خنت عهده      وجفاني وما تغيرت بعده  
ليس لي ما حييت ذنب اليه      غير أني يوما تغديت عنده

وقال الحليل بن أحمد العروضي الأزدي :

فكفاه لم تخلقا للندي      ولم يك بخلهما بدعه  
فكف على الحبز مقبوضة      كما نقصت مائة تسعة  
وكف ثلاثة آلافها      وتسع مئيتها لها شرعه (١)

(١) قلت في هامش الاصل ما نصه وذكر جعفر بن محمد التميمي في كتابه «الجامع في اللغة» الشرعة المثل يقال : هذا شرعة ذاك أى مثله وعلى هذا تأولوا قول الحليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها أى مثل الاولى وأنا أرى أن تكون شرعة هاهنا دينا وسنة قال هذا لها دينا .

وقال ابن أبي البطل :

أروم مما لديه في بلد      وكل من أجتديه في بلد  
منقوصة تسعة الى العدد      يعقد لي باليسار أربعة

وقال آخر :

أتيت أبا عمرو أرجى نواله      فزد أبو عمرو على حزني حزنا  
فكنت كباغي القرن أسلم أذنه      فأب بلا أذن ولم يستفد قرنا

## ١٩- محاسن الشجاعة

قيل : كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك ، وكان لسنًا فاتكا شجاعا شاعرا ، وكان قد أبر على أهل حجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى هامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ويأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به ، فبعث العامل الى فتية من بني يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلًا عظيمًا ان هم قتلوا جحدرًا أو أتوه به أسيرًا ، ووعدهم ان يوفدهم الى الحجاج ويسنى فرائضهم ، فخرج الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريبًا منه بعثوا اليه رجلاً منهم يريه أنهم يريدون الانقطاع اليه والتحرر به فوثق بهم واطمان اليهم ، فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقًا وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج ، وكتب يثنى على الفتية . فلمّا قدموا على الحجاج قال له : انت جحدر ؟ قال : نعم . قال : ما حملك على ما بلغني عنك قال : جرأة الجنان ، وجفوة السلطان وكلب الزمان ، قال : وما الذي بلغ من أمرك فيجترى جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك ؟ قال : لو بلاني لوجدني عن صالحى الاعوان وبهم الفرسان ومن أوفى على أهل الزمان قال الحجاج : انا قاذفوك فى قبة فيها أسد فان قتلك كفسافا مئوتك ، وان قتلت خيلناك ووصلناك قال : قد أعطيت أصلحك الله الامنية وأعظمت لمنة ، وقربت المحنة ، فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقى فى السجن ، وكتب الى عامله



بكسرك يأمره أن يصيد له أسدا ضاريا فلم يلبث العامل أن  
بعث اليه بأسد ضاريا قد أبرت على أهل تلك الناحية ،  
ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم ، فجعل منها واحدا في  
تابوت يجر على عجلة ، فلما قدموا به على الحجاج أمر قالقى في  
حيز وأجيع ثلاثا ، ثم بعث الى جحدر فأخرج وأعطى سسيفا  
ودلى عليه فمشى الى الاسد ، وأنشأ يقول :

ليث وليث فى مكان ضنك      كلاهما ذو أنف ومحك  
وصولة فى بطشمة وفتك      أن يكشف الله قناع الشك  
وظفرا بجؤجؤ وبرك      فهو أحق منزل بترك

### الذئب يعوى والغراب يبكى

حتى اذا كان منه على قدر رمح تمطى الاسد وزار وحمل عليه  
فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الاسد كانه  
خيمة قوضتها الريح فانشئ جحدر وقد تلمخ بلعه لشدة حملة  
الاسد عليه فكبر الناس ، فقال الحجاج : يا جحدر ان أحببت  
أن الحقك ببلاك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وان  
أحببت أن تقيم عندنا أقمت فأسنينا فريضتك . قال : أختار  
صحبة الامير ، ففرض له ولجماعة أهل بيته وأنشأ جحدر  
يقول :

يا جمل انك لو رايت بسالتي      فى يوم هيج مردف وعجاج  
وتقدمي لليث أرسف نحوه      حتى أكابده على الإحراج  
جهم كان جبينه لما بدا      طبق الرحي متفجر الاثباج  
يرنو بناظرتين تحسب فيهما      من ظن خالهما شعاع سراج  
شتن براسه كان نيوبه      زرق المعاول أو شذاة زجاج  
وكانما خيطت عليه عباءة      برقاء أو خلق من الديباج  
قرنان محتضران قد ربتهما      أم المنية غير ذات نتاج  
وعلمت أنى ان أبيت نزاله      أنى من الحجاج لست بناج

فعمشيت أرسف فى الحديد مكبلا  
بالموت نفسى عند ذاك أناجى

والناس منهم شامت وعصابة  
ففلقت هامته فخر كأنه  
ثم انثنت وفى قميصى شاهد  
أيقنت أنى ذو حفاظ ماجد  
فلئن قذفت الى المنية عامدا  
علم النساء بأننى لا أنثنى  
عبراتهم لى بالحلوق شواجى  
أطم تقوض مائل الابراج  
مما جرى من شاخب الوداج  
من نسل أملاك ذوى أتواج  
انى لحرك بعد ذلك راجى  
اذ لا يثقن بغيرة الأزواج

وحكى عن الطفيل بن عامر العمرى قال : خرجت ذات يوم  
أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة ، فبينما أنا أسير اذ  
ضللت الطريق الذى أردته فسرت أيا ما لا أدري أين أتوجه  
حتى نفذ زادى ، فجعلت أكل الحشيش وورق الشجر حتى  
أشرفت على الهلاك ويئست من الحياة ، فبينما أنا أسير اذ أبصرت  
قطيع غنم فى ناحية من الطريق ، فملت اليها واذا شاب حسن  
الوجه فصيح اللسان فقال لى : يا بن العم أين تريد ؟ فقلت :  
أردت حاجة لى فى بعض المدن وما أظننى الا قد ضللت الطريق  
فقال : أجل ! ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى  
تستريح وتطمئن وتريح فرسك ، فنزلت فرمى لفرسى  
حشيشا وجاء الى بشريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه  
وأجج نارا وجعل يكبب لى ويطعمنى حتى اكتفيت ، فلما جئنا  
الليل قام وفرش لى وقال : قم فارم بنفسك فان النوم اذهب  
لتعبك ، وأرجع لنفسك ، فقمى ووضع رأسى ، فبينما أنا  
نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناى مثلها قط حسنا وجمالا ،  
فقعدت الى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما  
يلقى من الوجد به ، فامتنع على النوم لحسن حديثهما ، فلما  
كان فى وقت السحر قامت الى منزلها ، فلما أصبحنا دنوت  
منه فقلت له : ممن الرجل ؟ قال : أنا فلان بن فلان ، فانتسب  
لى فعرفته فقلت له : ويحك ! ان أباك لسيد قومه فما حملك

وضعتك نفسك في هذا المكان ؟ فقال : أنا والله أخبرك كنت عاشقا لابنة عمى هذه التي رأيتها ، وكانت هي أيضا لي وامقة فشاع خبرنا في الناس ، فأثبتت عمى فسألته أن يزوجنيها فقال : يا بنى والله ما سألت شططا وما هي بآثر عندى منك ، ولكن الناس قد تحدثوا بشيء ، وعمك يكره المقالة القبيحة ، ولكن أنظر غيرها في قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك ، فقلت : لا حاجة لي فيما ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومي فردهم وزوجها رجلا من ثقيف له رياسة وقدر فحملها الى ههنا - وأشار بيده الى خيم كثير بالقرب منا - فضاقت على الدنيا برحبها ، وخرجت في أثرها ، فلما رأتنى فرحت فرحا شديدا فقلت لها : لا تخبرى أحدا أنى منك بسبيل ، ثم أتيت زوجها وقلت : أنا رجل من الازد أصبت دما وأنا خائف ، وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك في اصطناع المعروف ، ولى بصر بالغنم ان رأيت أن تعطينى من غنمك شيئا فأكون في جوارك وكنفك فافعل . قال : نعم وكرامة . فأعطاني مائة شاة وقال لي : لا تبعد بها من الحى ، وكانت ابنة عمى تخرج الى كل ليلة في الوقت الذي رأيت وتنصرف ، فلما رأى حسن حال الغنم أعطاني هذه فرضيت من الدنيا بما ترى قال : فأقيمت عنده أياما ، فبينما أنا نائم اذ نبهني وقال : يا أخا بنى عامر قلت له : ما شأنك ؟ قال : ان ابنة عمى قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها والله ما أظن ذلك الا لامر حادث ، فحدثني فجعلت أحدثه ، فأنشأ يقول :

ما بال مية لا تأتي كعادتها	هل حاجها طرب أو صدها شغل
سكن قلبي لا يعنيه غيركم	حتى الممات ولا لي غيركم أمل
لو تعلمين الذى بى من فراقكم	لما اعتذرت ولا طابت لك العمل
نفسى فداؤك قد أحللت بى حرقا	تكاد من حرها الاحشاء تنفصل
لو كان عادية منه على جبل	لزل وانهد من أركانه الجبل

- قوالله ما اكتحل بغمض حتى أنفجر عمود الضبح ، وقام ومر

نحو الحى فأبطأ عني ساعة ثم أقبل ومعه شيء وجعل يبكي عليه ، فقلت له : ما هذا ؟ قال : هذه ابنة عمى افترسها السبع فأكل بعضها ووضعها بالقرب منى فأوجع والله قلبي ، ثم تناول سيفه ومر نحو الحى فأبطأ هنيهة ثم أقبل الى وعلى عاتقه ليث كأنه حمار فقلت له : ما هذا ؟ قال : صاحبي قلت : وكيف علمته ؟ قال : انى قصدت الموضع الذى أصابها فيه وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها ، فجاء قاصدا الى ذلك الموضع فعلمت أنه هو فحملت عليه فقتلته ، ثم قام فحفر فى الارض فأمنع وأخرج ثوبا جديدا وقال : يا أخا بنى عامر اذا أنا مت فأدرجنى معها فى هذا الثوب ، ثم ضعنا فى هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام :

كنا على ظهرها والعيش فى مهل      والدهر يجمعنا والدار والوطن  
فخاننا الدهر فى تفريق الفتنا      واليوم يجمعنا فى بطنها الكفن

ثم ألتفت الى الاسد وقال :

ألا أيها الليث المدل بنفسه      هبلت لقد جرت يدك لناحرنا  
وبغادرتنى فردا وقد كنت ألفا      وصيرت آفاق البلاد لناسجنا  
أأصحب دهرنا خاننى بفراقها      معاذ الهى أن أكون له خدنا

ثم قال : يا أخا بنى عامر اذا فرغت من شأننا فصح فى أدبار هذه الغنم فردها الى صاحبها ، ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات ، فقامت فأدرجتها فى ذلك الثوب ووضعتهما فى تلك الحفرة ، وكتبت البيتين على قبرهما ، ورددت الغنم الى صاحبها وسألنى القوم فأخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لنلنهرن عليه تعظيما له ، فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا اليها فنحرت ثلثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث

الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لى شهاب بن خرقة السعدي  
فى الاسرى أو القتل فطلبوه فوجدوه فى الاسرى فلما أدخل على  
الحجاج قال له : من أنت ؟ قال : أنا شهاب بن خرقة قال :  
والله لا تقتلك . قال : لم يكن الامير بالذى يقتلنى . قال :  
ولم ؟ قال : لان فى خصالا يرغب فيهن الامير . قال : وما هن ؟  
قال : ضروب بالصفحة . هزوم للكثيرة من الكتيبة . احمى  
الجار وأذب عن الذمار وأجود على العسر واليسر . غير بطى عن  
النصر . قال الحجاج : ما أحسن هذه الخصال فاخبرنى بأشد  
شئ مر عليك . قال : نعم أصلح الله الامير :

بينما أنا أسير \* ومركبى وثير \* فى عصبة من قومي  
فى ليلتى ويومى \* يمشون كالاجادل \* فى الحرب كالبواسل  
أنا المطاع فيهم \* فى كل ما يليهم \* فسرت خمسا عوما  
وبعد خمس يوما \* حتى وردت أرضا \* ما أن ترام عرضا  
من بلد البحرين \* عند طلوع العين \* فهجتهم نهارا  
الشمس المغارا \* حتى اذا كان السحر \* من بعد ما غاب القمر  
اذا أنا بعير \* يقودها خفير \* موقرة متاعا  
مقبلة سراعا \* فصلت بالستان \* مع سادة فتيان  
فسقتها جميعا \* أحثها سريعا \* أريد رمى عالجا  
أمعج بالعناجج \* أسير فى الليالى \* خرقا بعيدا خالى  
وقد لقينا تعبنا \* وبعد ذاك نصبا \* حتى اذا هبطنا  
من بعد ما صعدنا \* عنت لنا بيدانه \* قد كان فيها عانه  
وميتها بقوسى \* فى مهمة كالترس \* حتى اذا ما امنعت  
بالقفر ثم درمت \* وردت قصرا منهلا \* فى جوفه طعام حلا  
وعنده خبيمة \* فى جوفها نعيمة \* عزيزة كالشمس  
فاقت جميع الانس \* فعجت مهرى عندها \* حتى وقفت معها  
حيث ثم ردت \* فى لطف وحيث \* فعلت يا لعوب  
والطفلة العروب \* هل عندكم قراء \* اذ نحن بالعراب  
قالت نعم برحب \* فى لطف وقرب \* أربع هنا عتيدي  
ولا تكن بعيدا \* حتى يجيئك غابر \* مثل الهلال زاهر

فبعجت عن قريب \* في باطن الكثيب \* حتى رأيت عامرا  
يجعل ليثا خادرا \* على عتيق سابح \* كمثمل طود اللامح

قال : وكان الحجاج متكئا فاستوي جالسا ثم قال : ويحك  
دعنا من السجع والرجز وخذ في الحديث ، قال نعم أيها الأمير  
ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد نارا وشق عن بطن  
الاسد وألقى مراقه في النار فجعلت أصلح الله الأمير أسمع  
للحم الاسد نشيشا فقالت له نعيمة : قد جاءنا ضيف وأنت  
في الصيد . قال : فما فعل ؟ قالت : ها هو ذاك بظهر  
الكثيب والخيمة ، فأمأت الى ، فأتيتهما فاذا أنا بغلام أمرد كان  
وجهه دائرة القمر فربط فرسي الى جنب فرسه ودعاني الى  
طعامه فلم أمتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع ، فأكلت أنا  
ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ، ثم مال الى زق فيه  
خمر فشرب ، ثم سقاني فشربت ، ثم شرب الغلام حتى أتى على  
آخره ، فبينما نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل أصحابي  
فقممت وركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم ثم قلت :  
يا غلام خل عن الجارية ولك ما سواها فقال : ويلك احفظ  
المالحة ، قلت : لابد من الجارية وفارسي فالتفت اليها وقال  
لها : قفي ، ثم قال : يا فتيان هل لكم في العافية ؟ والا فارسي  
وفارسي فبرز اليه رجل من أصحابي فقال له الغلام : من  
أنت ؟ فليست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤا أعرفه .  
فقال : أنا عاصم بن كلبه السعدي فشد عليه وأنشد يقول :

أنك يا عاصم بي لجاهل      اذ رمت أمرا أنت عنه ناكل  
اني كمي في الحروب بأسل      ليث اذا اصطاك الليوث باذل  
ضراب هلمات العدا منازل      قتال أقران الوغى مقاتل

ثم طعنه فقتله وقال : يا فتيان هل لكم في العافية ؟ والا  
فارسي وفارسي فتقدم اليه آخر من أصحابي فقال له الغلام :

من أنت ؟ فقال : أنا صابر بن حرقة • فشده عليه وأنشأ يقول :

انك والاله لبست صابرا      على سنان يجلب المقادرا  
ومنصل مثل الشهاب باثرا      في كف قرم يمنع الحراثرا  
انى ما رمت أمرا فآثرا      يكون قرنى فى الحروب باثرا

ثم طعنه فقتله ثم قال : يا فتيان هل لكم فى العافية ؟ والا فارس لفارس فلما رأيت ذلك هالنى أمره وأشفقت على أصحابى فقلت : احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك أنشأ يقول :

الآن طاب الموت ثم طابا      اذ تطلبون رخصة كعابا  
ولا نريد بعدها عتابا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدها ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلا فأشفقت على أصحابى فقلت : يا غلام قد قبلنا العافية والسلامة فقال : ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسالنا • ثم قلت : يا عامر بحق المماثلة من أنت ؟ قال : أنا عامر بن حرقة الطائى وهذه ابنة عمى ونحن فى هذه البرية منذ زمان ودهر ما مر بنا انسى غيركم ، فقلت : من أين طعامكم ؟ قال : حشرات الطير والوحش والسباع : فمن أين شرابكم ؟ قال : الخمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين قلت : ان معى مائة من الابل موقرة متاعا فخذ منها حاجتك ، فقال : لا أرب لى فيها ولو أردت ذلك لكننت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين • فقال المجاج : الآن يا عدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى • قال : كان خروجى على الامير أصلحه الله أعظم من ذلك فان عفا عنى الامير رجوت ألا يؤاخذنى بغيره فأطلقه ووصله ورده الى بلده •

( فمسله )

قال : دخل أبو زبيد الطائي على عثمان بن عفان في خلافته  
وكان نصرانيا فقال له : بلغني أنك تجيد وصف الاسد .  
فقال له : لقد رأيت منه منظرا وشهدت منه مخبرا لا يزال  
ذكره يتجدد على قلبي قال : هات ما مر على رأسك منه قال :  
خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة من أفناء قبائل العرب ذوى  
شارة حسنة ترتى بنا المهارى بأكسائها القزوانيات ومعنى  
البغال عليها العبيد يقودون عتاق الحيل نريد الحارث بن أبى  
شمير الغساني ملك الشام ، فاخروط بنا المسير في حمارة  
القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياه  
وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصر الجندب وضايق  
العصفور الضب في وجاره قال قائلنا : أيها الركب غوروا  
بنا في دوح هذا الوادى فاذا واد كثير الدغل دائم الغل  
شجراؤه مغنة وأطيواره مرنة ، فحططنا رحالنا بأصول دوحات  
كنهيلات فأصبنا من فضلات المذاود واتبعناها بالماء البارد ،  
فانا لنصف حر يومنا ومماطلته ومطاولته اذ صر أقصى الحيل  
أذنيه وفحص الأرض بيده ، ثم ما لبث أن جال فحمحم وبال  
فهمهم ثم فعل فعله الذى يليه واحد بعد واحد فتضعضعت  
الحيل وتكعمكت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله  
وناهض بعقاله فعلينا أن قد أتينا وأنه السبع لا شك فيه  
قفزع كل امرئ منا الى سيفه واستله من جربانه ، ثم وقفنا له  
رزدقا فأقبل يتطالع فى مشيته كأنه مجنوب أو فى هجار  
لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغة  
تقيض كأنما يخبط هشيما أو يطا صريما ، واذهامة كالمجن  
بوخذ كالمسن وعينان شجراوان كأنهما سراجان موقدان  
بوقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكند مغبط وزور مغرط وساعد  
مجنبدول وعطد مفتول وكف شتنة البراسن الى مخالاب  
كالمحاجن ، ثم ضرب بذنبه فاوهج وكشر فافرج عن أنياب



كالمعازل مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الاخرق ثم  
تمطى فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه  
ثم أقعى فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر فلا والذي  
بيته في السماء ما أتقيناها بأول من أخ لنا من بنى فزاره كان  
ضخم الجزارة فوهسه ثم أقعصه فقضقض متنه وبقر بطنه فجعل  
يلغ في دمه فذمرت أصحابي فبعد لاي ما استقدموا فكر  
مقشعر الزبرة كان به شبها حوليا ، فاختلج من دوني رجلا  
أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة فتزايلت أوصاله وانقطعت  
أوداجه ، ثم نهم فقرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زار فجرجر ؛  
ثم لحظ ، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله  
ويمينه ، فارتعشت الايدي واصطكت الارجل وأطت الاضلاع  
وارتجت الاسماع وحملت العيون ، وانخذلت المتون ، ولحقت  
الظهور البطون ، ثم ساءت الظنون وأنشأ :

عبوس شמוש مصخلد ختابس

جرى على الارواح للقرن قاهر

منيح ويحمى كل واد يرومه      شديد أصول الماضفين مكابر  
برأئنه شثن وعيناه في الدجى      كجمر الغضافي وجهه الشرطاهر  
يدل بأنيب حداد كأنها      اذا قلص الاشدق عنها خناجر

فقال عثمان : أكفف لا أم لك ، فلقد أرعبت قلوب المسلمين ،  
ولقد وصفته حتى كأنى أنظر اليه يريد يوائبنى . وقيل في  
للثل : وهو أجبن من هجرس - وهو القرد - وذلك أنه لا  
ينام الا وفي يده حجر مخافة أن ياكله الذئب . وحدثنا رجل  
بمكة قال : اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع في موضع  
واحد ، ثم تبیت مستطيلة واحدا في أثر واحد في يد كل  
واحد منهم حجرا لئلا ترقد ، فيأتيها الذئب فيأكلها ، وان نام  
واحد وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصارت قدماه  
فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع

الذى باتت فيه على ثلاثة أميال أو أكثر جينا ، وقيل : هو  
أجبن من صافر ، وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم  
يصفر ليلته كلها خوفا من أن ينام فيؤخذ ، وقيل أيضا : هو  
أجبن من المنزوف ضرطا وكان من حديثه أن نسوة من العرب  
لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى  
الضحى فاذا انتبه ضربنه وقلن له : قم فاصطبح ويقول : لو  
لعادية نبهتنى - أى خيل عادية عليكن مغيرة فأدفعها عنكن -  
فلما رأين ذلك فرحن وقلن : ان صاحبنا لشجاع ثم أقبلن  
وقلن : تعالين نجربه فاتينه كما كن يأتينه فأيقظنه فقال : لو  
لعادية نبهتنى ، فقلن له : نواصي الحيل معك ، فجعل يقول :  
الحيل . . الحيل ويضطر حتى مات فضرب به المثل . وقيل  
لجبان : انهزمت فغضب الامير عليك ، قال : يغضب الامير  
وأنا حى أحب الى من أن يرضى وأنا ميت . وقيل لبعض  
المجان : ما لك لا تغزو ؟ قال : والله انى لا يفض الموت على  
فراشي فكيف أمر اليه ركضا ؟ قال : وقال الحجاج لحميد  
الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحروب : يا حميد هل  
قللت قط ؟ قال : لا أيها الامير الا فى النوم . قال : وكيف  
كانت وقعتك ؟ قال : انتبهت وأنا منهزم ، ومما قيل فى  
ذلك من الشعر :

ظلت تشجعني هند بتضليل      وللشجاعة خطب غير مجهول  
هاتى شجاعا لغير القتل مصرعه      أوجدك ألف جبان غير مقتول  
الحرب توسع من يصل بها حربا      يتم العيال وأثكال المشاكيل

اسم الوغى اشتق من غوغاء يعر بها

يغدون للموت كالطير الاباييل

والله لو أن جبريلا تكفل لى

بالنصر ما خاطرت نفسى لجبريل

هل غير أن يعذرونى أننى فشلت

فكل هذا نعم فاغروا بتعزيل

ان اعتذر من فرارى فى الوغى أبدا  
 كان اعتذارى رديداً غير مقبول  
 اسمع أخبرك عن بأسى بنى سلب  
 خلاف بأس المساعير البهاليل  
 لما بدت منهم نحوى عشوزنة  
 شماء تشرع فى عرضى وفى طولى  
 فقلت ويحكم لا ترهبوا جلدى  
 رمحى كسير وسيفى غير مصقول  
 لما اتقيتهم طوعا بذات بد وأنصعت أطوي الغلامىلا الى ميل  
 الله خلصنى منهم وفلسفتى حتى تخلصت مخضوب السراويل  
 وقال آخر :

أضحت تشجعنى هند فقلت لها ان الشجاعة مقرون بها العطب  
 لا والذى حجت الانصار كعبته  
 ما يشتهى الموت عندى من له ارب  
 للحرب قوم أضل الله سعيهم اذا دعتهم الى حوماتها وثبوا  
 ولست منهم ولا أهوى فعالهم لا أقتل يعجبنى منهم ولا ألسلب  
 وقال آخر :

يقول لى الامير بغير جرم تقدم حين حل بنا المراس  
 فمالى ان أطعتك فى حياة ولا لى غير هذا الراس راس

## ٢٠ - محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب : لولا حب الوطن لحرب بلد السوء  
 وكان يقال : بحب الاوطان عمرت البلدان ، وقال جالينوس :  
 يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببل  
 المطر . وقيل بقرط : يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان  
 الطبيعة تنزع الى غذائها ، ومما يؤكد ذلك قول اعرابى وقد

حرض بالحضر فقيل له : ما تشتهي فقال : مخيضاً روبا وضبا مشويا ، وقد قيل : أحق البلدان بنزاعك اليها بلد أمصك حلب رضاعه ، وقيل أحفظ أرضاً أرسخك رضاعها ، وأصلحك غذاؤها وأرع حمى اكتنفك فناؤه . وقيل : لا تشك بلداً فيه قبائلك . وقيل : من علامة الرشيد أن تكون النفس إلى أوطانها مشتاقة وإلى مولدها تواقّة . وحدثنا بعض بني هاشم قال : قلت لأعرابي : من أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية ، قلت : وأين تسكن منها ؟ قال : مساقط الحمى حمى ضرية . ما إن لعمر الله أريد بها بدلا ولا أبتغى عنها حولا حفتها الغلوات فلا يملولج ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش وأوسع معيشة وأسبغ نعمة قلت : مم طعامكم ! قال : بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنائف والحيات وريتما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشا ، فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة . وقيل لأعرابي : كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله ؟ فقال : وهل العيش إلا ذاك ؟ يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساءه وتقبل الرياح من كل جانب فكانه في إيوان كسرى . وقال بعض الحكماء : عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك . وقيل لأعرابي : ما الغبطة . قال : الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان . وقيل : فما الذل ؟ قال : التثقل في البلدان والتنحي عن الاوطان ، وقال بعض الادباء : الغربة ذلة والذلة قلة ، وقال الآخر : لانتفض عن وطنك ووكرك فتنقصك الغربة وتصمتك الوحدة . وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي تكل أبويه فلا أم تراه ولا أب يحبب عليه . وكان يقال : الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالفرس الذي زایل أرضه وفقده شيربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر ، وكان يقال : الجالى عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذى هو لكل رام

رمية ، وأحسن من ذلك وأصدق قول الله عز وجل : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء » وقال تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل ، وقال : « قدسست أسماؤه : » وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا « • فجعل القتال بازاء الجلاء ، قال صلى الله عليه وسلم : ( الخروج عن الوطن عقوبة ) ومما قيل في ذلك من الشعر :

إذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي  
واضحى فؤادي نهبه للهمام  
حينما الى أرض بها اخضر شاذبي  
وحلت بها عنى عقود التمام  
والطف قوم بالفتى اهل أرضه  
وأرعاهم للمرء حق التقادم

وقال آخر :

أحن الى أرض الحجاز وحاجتي  
خيام بنجد دونها الطرف يقصر  
وما نظرى من نحو نجد بنافعي  
أجل لا ولكنى على ذاك أنظر  
ففى كل يوم نظرة ثم عبرة  
لعينيك يجرى ماؤها يتحدر  
متى يسترح قلب قاما محاذر  
حزين واما نازح يتذكر

وقال آخر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى  
ما الحبيب الا للحبيب الاول  
كم منزل فى الأرض يالفه الفتى  
وحينئذ ابدا لأول منزل

وقال ابن أبي السرح قرأت على حائط بيتي شعرهما :  
ان الغريب ولو يكون ببلدة

يجبى اليه خراجها لغريب  
واقبل ما يلقي الغريب من الاذى

ان يستذل وان يقال كنوب  
وقال : وقرأت على حائط بعسكر مكرم :

ان الغريب اذا ينادى موجعا  
عند الشدائد كان غير مجاب

فاذا نظرت الى الغريب فكن له  
مترحما لتباعد الاجاب

وقال : وقرأت على حائط ببغداد :

غريب الدار ليس له صديق	جميع سؤاله اين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شيء	كما يتعلق الرجل الفريو
فلا تجزع فكل فتى سيأتى	على حالته سعة وضيق

قال : ووجدت على حائط باب مكتوبا :

عليك سلام الله ياخير منزل	دخلنا وخلفناك غير ذميم
فان تكن الايام فرقن بيننا	فما احد من ريبها بسليم

وقال آخر :

وان اغتراب المرء من غير حاجة  
ولا فاقة يسمو لها لعجيب  
فحسب امرى ذلا ولو ادرك الفنى  
ونال ثراء ان يقال غريب

وقال آخر :

ان الغريب وان يكنى غبطة	لعلب وفؤاده محزون
ومتى يكون مع الغريب غبطة	ومفارقة يارب كيف يكون

وقال آخر :

ان الغريب ذليل اينما سلكا      لو انه كل الوردى ملكا  
اذا تغنى حمام الايك في غصن      حن الغريب الى اوطانه فبكي

وقال آخر :

سل الله الاياب من المغيب      فكم قد رد مثلك من غريب  
وسل الحزن منك بحسن ظن      ولا تياس من الفرج القريب

وقال آخر :

تصبر ولا تعجل وقيت من الردى      لعل ايباب الطاعنين قريب  
فقلت وفي قلبي جوى لفراقها      الا لاتصبرني فلست اجيب

وقال آخر :

اعاذل حبي للغريب سجية وكل غريب للغريب حبيب

لئن قلبت لم اجزع من البين ان مضوا  
لطيتهم اني اذا لـكنوب  
بلى غبرات الشوق اضرمت الحشا  
ففاضت لها من مقلتي غروب

وقال آخر :

اذا اغترب الكريم راي امورا      مجلله يشيب لها الوليد

وقال آخر :

ما كنت احسب ان يكو      ن كذا تفرقنا سريعا  
بخيل الزمان على ان      نبقي كما كنا جميعا  
فاحلني في بلدة      واحلك البلد الشسيعا  
قد كنت انتظر الوسا      ل فصرت انتظر الرجوعا

وقال آخر :

نسيم الخزامي والرياح التي جرت  
بنجد على نجد تدمرني نجدا

## أتاني نسيم السدر طيبا الى الحمى فلاذكرني نجدا فقطعني وجدا

وفى معناه (الدعاء للمسافر) بأيمن طالع وأس طائر ولا  
كبابك مركب ، ولا اشت بك مذهب ، ولا تعذر عليك مطلب .  
سهل الله لك السير وأنالك القصد وطوى لك البعد بمسرة  
الظفر وكرامة المدخر . على الطائر الميمون والكوكب السعدالى  
حيث تتقاصر أيدي الحوادث عنك وتتقاعس نواثب الأيام دونك  
بسهولة المطلب ونجاح المنقلب . كان الله لك فى سفرك  
خفيرا وفى حضرك ظهيرا بسعى نجيح وأوب سريع . بصرك  
الله محلك وهداك رحلك وسر بأوبتك أهلك ولا زلت آمنا مقبلا  
وظاعنا بأسعد جد وأنجح مطلب وأسر منقلب وأكرم بداءة وأحمد  
عاقبة . اشخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة أثبا بالنجح والغبطة  
محوطا فيما تطالعه بالعناية والشفقة فى ودائع الله وكنفه  
وجواره وستره وأمانه وحفظه وضمائه . وقال رجل للنبي صلى  
الله عليه وسلم : انى أريد سفرا ، فقال : فى كنف الله وستره  
زودك الله التقوى ورجحك الى الخير حيثما كنت استخلف الله  
فيك وأستخلفه منك) ، وقال الشاعر :

فى كنف الله وفى ستره من ليس يغلو القلب من ذكره  
وقال آخر :

اوحل ابا بشر بأيمن طائر وعلى السعادة والسلامة فانزل

### ( ضله )

قال بعض حكماء الفلاسفة : اطلبوا الرزق فى البعد فانكم ان  
لم تكسبوا مالا غنتم عقلا كثيرا . وقال آخر : لا يالف الوطن  
الا ضيق العطن . وقيل لا توحشك الغربة اذا آنستك النعمة .  
وقيل : الفقير فى الاهل مصروم ، والغنى فى الغربة موصول .  
وقال : لا تستوحش من الغربة اذا آنست مصروما ، وقيل :  
أوحش قومك ما كان فى ايحاشهم أنسك ، واهجر وطنك ما  
نبت عنه نفسك ، وأنشد :



لا يمنعك خفض العيش في دعة      نزوع نفس الى اهل واطنان  
تلقى بكل بلاد ان حلت بها      اهلا باهل وجيرانا بجيران

وقال آخر :

تبث بك الدار فسر آمنة      فللقتي حيث انتهى دار

وفي معناه ( الدعاء على المسافر ) بالبارح الاشام ، والسانح  
الاعضب ، والصرد الانكد ، والسفر الابعد . لاستمرت به  
عطيته ولا استتبت به أمنيته ، ولا تراخت منيته . بنحس  
مستمر وعيش مر . لا قري اذا استضاف ولا أمن اذا خاف .  
ويقال ان عليا عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال :  
لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا أصاب غيثا ولا سار الا  
ريثا ولا رافق الا ليثا أبعد الله وأسحقه وأوقد على أثره وأحرقه  
لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به أهله لا زكي له  
مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما لا فرج الله له غمه  
ولا سرى همه لاسقاء الله ماء ولا حل عقده ولا أوري زنده جعله  
الله سفر الفراق وعصى الشقاق ، وأنشد :

يانكد طائر وبشر فال      لا بعد غاية واخس حال  
بعد السد حيث يكون مني      كما بين الجنوب الى الشمال  
غريبا تمتطي قلبيك دهرًا      على خوف تحن الى العيال

وقال آخر :

اذا استقلت بك الركاب      فحيث لا درت السحاب  
وحيث لا تبغى فالاحا      وحيث لا يرتجى ايب  
وحيث مادرت فيه يوما      قابلك الذئب والغراب

وقال آخر :

فسر بالنحوس الى بلدة      تعمر فيها ولا ترزق  
ولا تمرع الأرض من زهرة      ولا يثمر الشجر المورق  
تفيض البحار بها مرة      ويكنى السحاب بها المغرق

وقال آخر :

أدنى خطاك الهند والصين      وكسل نحس بك مقرون  
بحيث لا يأنس مستوحش      وحيث لا يفرح محزون  
تهوى بك الأرض الى بلدة      ليس بها ماء ولا طين

## ٢١ - محاسن الدهاء والحيل

الهيثم بن الحسن بن عمار قال : قلع شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعي ، فلما رأى ما تصنع سرقة المختار من الاعظم جعل يقول : يا عباد الله أبا المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال : ما هذا الذي بلغني عنك . قال : الباطل فأمر بضرب عنقه ، فقال : لا والله لا تقدر على ذلك قال ولم ؟ قال : أما دون أن انظر اليك وقد هدمت مدينته دمشق حجرا حجرا وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبني على شجرة على نهروان<sup>١</sup> انى لا أعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطيء ذلك النهر ، فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم : ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال : يا أخا خزاعة أو مزاح عند القتل ؟ قال : أنشدك الله أن أقتل ضياعا قال : وما تطلب ههنا ؟ قال : أربعة آلاف درهم اقتضى بها ديني قال : ادفعوها اليه وإياك أن تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه . وعنه قال كان سراقا البارقي من طرفاء أهل الكوفة فأسره رجل من أصحاب المختار فأتى به المختار فقال له : أسرك هذا ؟ قال سراقا : كذب والله ما أسرنى الا رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق . فقال المختار : الا أن الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله . فلما أفلت منه أنشأ يقول :

الا ابلغ أبا اسحق انى      رايت البلق دهما مصمتا  
أزى عيني ما لم تراياه      كلانا عالم بالترهات  
كفرت بوجيكم وجعلت نفرا      على قتلكم حتى المصمات

وعنه قال : كان الأُحوص بن جعفر المخزومي يتغدى فى دير اللج فى يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقي فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الأُطمار قال حمزة لسراقة : أين يذهب بنا فى البرد ونحن فى أطمار ؟ قال : سأكفيكه فبينما هو يسير اذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالأُحوصي فقال له : ما خبرك الراكب ؟ قال : زعم أن خوارج خرجت بالققطانة . قال : بعيد قال : ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر . وكان الأُحوص أحد الجبناء فثنى رأس دابته وقال : ردوا طعامنا نتغدى فى المنزل ، فلما حاذى منزله قال لأصحابه : ادخلوا رمضى الى خالد بن عبد الله القسرى فقال : خرجت خارجة بالققطانة . فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجه خيل تركض نحو اللج لتعرف الخبر فأعلموه لأصل للخبر . فقال للأُحوص : من أعلمك بهذا ؟ قال : سراقة قال : وأين هو ؟ قال : فى منزلى ، فأرسل اليه من أتاه به قال : أنت أخبرته عن الخاريجة قال : ما فعلت أصلح الله الأمير ، قال له الأُحوص : أتكذبني بين يدي الأمير . قال خالد ويحك أصدقتني قال : نعم أخرجنا فى هذا البرد وقد ظاهر الحز والوبر ونحن فى أطمارنا هذه فأحببت أن أرد ، فقال له خالد : ويحك وهذا مما يتلاعب به .

وذكروا : أن شبيب بن يزيد الخارجى مر بغلام مستنقع فى الفرات فقال له : يا غلام أخرج انى أسألك ، فعرفه الغلام فقال له : انى أخاف أفأمن أنا اذا خرجت حتى ألبس ثيابى ، قال : نعم ، فخرج وقال : والله لا ألبسها اليوم ، فضحك شبيب وقال : خدعتني ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه ألا يصيبه أحد بمكره قال : وكان رجل من الخوارج يقول :

**فما يزيد والبطين وقعب**      **ومنا امير المؤمنين شبيب**

فسار البيت حتى سمعه جده الملك بن مروان فأمر بطرده

فاتني به ، فلما وقف بين يديه قال : انت القائل \* ومنا أمير المؤمنين شبيب .

قال لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين انما قلت \* ومنا أمير المؤمنين شبيب .

فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع الى النصب . وزعموا أن عمرو بن معدى كرب هجم في بعض غاراته على شابة جميلة منفردة وأخذها ، فلما أمعن بها بكى فقال : ما بيك قالت : ابكى لفراقى بنات عمى هن مثلى فى الجمال وأفضل منى خرجت معهن فانقطعنا عن الحى قال : وأين هن ؟ قالت خلف ذلك الجبل ووددت اذ أخذتنى انك أخذتهن معى فامض الى الموضع الذى وصفته ، فمضى الى هنالك فلما شعر بشئ حتى هجم على فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصارعه الفارس ثم عرض عليه ضروبان من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها ، فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكنانى فاسنقذ الجارية . وعن عطاء ان مخارق ابن عفان ومعن بن زائدة تلقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شبابا وجمالا فصاحا به خل عنها ومعه قوس فرمى بها وهابا الاقدام عليه ، ثم عاد ليرمى فانقطعت وتره وسلم الجارية وأسند فى جبل كان قريبا منه فابتدراه وأخذوا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درة فانتزعاه من أذنها ، فقالت : وما قدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعده ونسبه من الدهش . فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فأخذه وعقده فى قوسه فوليا ليست لهما همة الا الالتجاء وتخليا عن الجارية ، وعن الهيثم قال : وكان الحجاج حسودا لا يتم له صنعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمي الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما صنع ، ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما أحب وكره منافرته وكان عاقلا وفيقا فجعل يرفق به ويقول : أيها الامير أشرف العرب

أنت من شرفته شرف ، ومن وضعته تضع ، وما ينكر ذلك لك مع رفقك ويمن مشورتك ورأيك ، وما كان هذا كله الا بصنع الله وتديبيرك ، وليس أحد أشكر لبلانك مني ومن ابن أشعث ، وما خطره حتى عزم الحجاج على المسير الى عبد الملك فأخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمير ، فلم يزل يلطف بالحجاج في مسيره ويعظه حتى قدموا على عبد الملك ، فلما قامت الخطباء بين يديه وأثنت على الحجاج قام عمارة فقال : يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي ، قال الحجاج : يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن بأسه ونجدته وعفاه كذا وكذا وهو أيمن الناس نقيبة وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يبق في الثناء عليه غاية ، فقال عمارة : قد رضيت يا أمير المؤمنين ، قال نعم فرضي الله عنك حتى قالها ثلاثا في كلها يقول قد رضيت ، قال عمارة : فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السوء التدبير الذي قد أفسد عليك أهل العراق وألب الناس عليك وما أتيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك والله أمثالها ان لم تعزله فقال الحجاج : مه يا عمارة ، فقال : لاه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر ان سار تحت راية الحجاج أبدا ، قال : اني أعلم أنه ماخرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندي العتبي وأرسل اليه ، فقال : ماكنت أظن أن عقلك على هذا ارجع اليه بعد الذي كان من طعنى عليه وقولى عند أمير المؤمنين ماقلت فيه : لا ولا كرامة .

### ( ضله )

قيل في المثل : هو أحق من عجل ، وهو عجل ، وهو عجل ابن لجيم ، وذلك أنه قيل له : ما سميت فرسك ؟ فقفا عينه وقال : سميت الا عور ، فقال الشاعر فيه :

ومتى بنو عجل بدءا أبيهم  
وأي امرئ في الناس أحق من عجل

الينس ابوهم عار عين جواده

فصارت به الامثال تضرب في الجهل

وقيل : هو أحمق من هبنقة ، وبلغ من حمقه أنه ضل له بعير فجعل ينادى : من وجد بعيرى فهو له ، فقيل له : ولم تنشده ؟ قال : وأين حلاوة الظفر والوجدان ؟

واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب فى رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا : قد رضىنا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا : انظروا بالله من طلع علينا ؟ فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة : الحكم فى هذا بين ، اذهبوا به الى نهر البصرة فالتقوه فيه ، فان كان راسبيا راسب ، وان كان طفاويا طفا . فقال الرجل : لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لى فى الديوان ، وقيل : هو أحمق من دغة وهى مأزقة بنت مغنج تزوجت فى بنى العنبر وهى صغيرة ، فلما ضربها المخاض ظننت أنها تريد الخلاه فخرجت تتبرز ، فصاح الولد ، فجاءت منصرفة ، فصاحت : يا أماء هل يفتح الجعراف ؟ قالت : نعم ، ويدعو أباه ، فسببت بنو العنبر بذلك ، فقيل : بنو الجعراف ، وقيل : هو أحمق من باقل ، وكان اشترى عنزا بأخذ عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهما فعبروه بذلك ، قال الشاعر :

يلومون فى حمقه باقلا	كان الحماقة لم تخلق
فلا تكثروا العلل فى عبه	فللصمت اجمل بالاموق
خروج اللسان وفتح البنان	احب الينسا من المنطق

ومما قيل فيه أيضا من الشعر :

يا ثابت العقل كم عاينته ذا حمق

الرفق الحمقى به من لازم الجرب

فاننى واجسد فى الناس واحدة  
الرزق اروع شيء عن ذوى الادب  
وخصلة ليس فيها من يخالفنى  
الرزق والنوك مقرونان فى سبب

وقال آخر :

ارى زمنا نوكاه اسعد خلقه      على انه يشقى به كل عاقل  
علا فوقه رجلاه والراس تحته      فكبلا على ارتفاع الاسافل

وقال آخر :

كم من قوى قوى فى قلبه      مهذب اللب عنه الرزق منحرف  
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط      كانه من خليج البحر يغترف

## ٢٢ - محاسن المفاخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( انا سيد ولد آدم ولا  
فخر ) ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتا  
من شعر :

انى امرؤ حميرى حين تنسبني  
لا من ربيعة آبائي ولا مضر  
فقال له : ذلك الائم لك وابعد عن الله ورسوله ، وقال  
بعضهم :

اذا مضر الحميراء كانت ارومتي  
وقام بنصرى خازم وابن خازم  
عطيت بانفس شامخ وتناولت  
يدى الثريا قاعدا غير قائم

شعيب بن ابراهيم عن على بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن  
عبد المطلب بن ربيعة قال : مر العباس بن عبد المطلب رضى الله

عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد في اهله مثل نخلة  
نبئت في كناسة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فوجد منه ، فخرج حتى قام فيهم خطيبا ثم قال : (أيها الناس  
من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله قال : أفأنا محمد بن عبد الله بن  
عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير  
خلقه ، ثم جعل الخلق الذي أنا منهم فريقين فجعلني من خير  
الفريقين من خلقه ، ثم جعل الخلق الذي أنا منهم شعوبا فجعلني  
في خيرهم شعبا ، ثم جعلهم بيوتا فجعلني من خيرهم بيتا ،  
فأنا خيركم بيتا وخيركم والدا ، واني مباه لكم قم يا عباس فقام  
عن يمينه ، ثم قال : قم ياسعد فقام عن يساره فقال : يقرب  
امرو منكم عما مثل هذا وخالا مثل هذا ) وحدثنا سنان بن الحسن  
التستري عن اسماعيل بن مهران العسكري عن أبان بن عثمان  
عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن علي بن أبي طالب  
كرم الله وجهه قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر وكان علما  
بأنساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم  
الوقار والسكينة ، فتقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام  
فقال : ممن القوم ؟ فقالوا من ربيعة قال : من هاتمتها أم لهازمها ؟  
قالوا : بل من هاتمتها العظمى قال : وأي هاتمتها ؟ قالوا : ذهل  
قال : ذهل الأكبر أم ذهل الأصغر ؟ قالوا : بل الأكبر قال  
فمنكم عوف الذي كان يقال لا حر بوادي عوف قالوا : لا قال :  
أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا :  
لا قال : أفمنكم جساس بن مرة حامي النمار ومانع الجار ؟  
قالوا : لا قال : أفمنكم المزدلف صاحب العمامة ؟ قالوا : لا ، قال :  
أفأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال : أفأنتم أصحاب  
الملوك من لحم ؟ قالوا : لا قال : فلستم من ذهل الأكبر اذا أنتم  
من ذهل الأصغر فقام اليه أعرابي غلام حسن بقل وجهه فأخذ  
بزمam ناقته ورسول لله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته  
يسمع مخاطبته ، فقال :



## لننا على سائنا ان نساله والعبء لاتعرفه او تحمله

يا هذا أنك قد سألنا أى مسألة شئت فلم نكتمك شيئا  
فأخبرنا ممن أنت ؟ فقال أبو بكر : من قريش . فقال : بخ بخ !  
أهل الشرف والرياسة فأخبرني من أى قريش أنت ؟ قال من  
بنى تميم بن مرة ، قال : أفمنكم قصي بن كلاب الذى جمع القبائل  
من فهر فكان يقال له مجمع ؟ قال أبو بكر : لا ، قال : أفمنكم  
هاشم الذى يقول فيه الشاعر :

عمرو العلي هشم الثريد لقومه  
ورجال مكة مستنون عجاف

قال أبو بكر : لا ، قال : أفمنكم شيبه الحمد الذى كان وجهه  
يضيء فى الليلة الداجية مطعم الطير ؟ قال : لا ، قال : أفمن  
المضيفين بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل الرقادة أنت ؟  
قال : لا ، قال : أفمن أهل السقاية أنت ؟ قال لا ، قال : أفمن أهل  
الحجاية أنت ؟ قال : لا ، قال : أما والله لو شئت لأخبرتكم  
لست من أشرف قريش فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه  
كهيفة المفضب ، فقال الاعرابي :

صادف در السيل در يدفعه  
فى هضبة ترفعه وتضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال على كرم الله وجهه ،  
فقلت : يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقعة ،  
قال : أجل يا أبا حسن مامن طامة الا وفوقها طامة وان البلاء  
موكل بالمنطق . قال : وأتى حسن بن علي رضى الله عنهما  
معاوية بن أبى سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فأمر  
معاوية بأنزله ، فبينما معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن  
الحكم وزياد المدعى الى أبى سفيان يتحاورون فى قديمهم ومجدهم  
اذ قال معاوية : قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن علي

وعبد الله بن عباس لقصروا من أعنتكم ، فقال زياد : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان ابن الحكم في غرب منطقته ولا لنا في بواذخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما ، فقال معاوية لعمر : ماتقول في هذا الليل فابعث اليهما في غد ، فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فأتيا فدخلا عليه وبدأ مغاربة فقال : اني اجلكما وأرفع قدركما عن المساس بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا في مجلسهما علم عمرو أن الحدة ستقع به فقال : والله لا بد أن أتكلم فان قهرت فسبيل ذلك وان فهرت أكون قد ابتدأت فقال : يا حسن أنا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بنى أمية أصبر على اللقاء وأمضى في الوغاء وأوفى عهدا وأكرم خيما ومنع لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطلب ، ثم تكلم مروان ابن الحكم فقال : كيف لا يكون ذلك وقد قارغناهم فقلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا ، ثم تكلم زياد فقال : ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل ونقص دونها الوعول لا تبلغها السهام فاياك والحسن اياك ، لا الهه ويجحدوا الخير في مظانه نحن الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديما وحديثا ، فتكلم الحسن بن علي رضي الله عنه فقال : ليس من العزم أن يضممت الرجل عند ايراد الحجة ولكن ٠٠ من الافك أن ينطق الرجل بالخنا ويصور الكذب في صورة الحق ياعمر وافتخارا بالكذب وجراءة على الافك مازلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديةا مرة بعد مرة أتذكر مصابيح الدجى ، وأعلام الهدى ، وفرسان الطراد ، وحتوف الاقران ، وأبناء الطعان ، وربيع الضيفان ، ومعدن العلم ، ومهبط النبوة؟ وزعمتم أنكم أحبى لما وراء ظهوركم ، وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال ، وتساورت الأقران ، واقتحمت الليوث ، واعتركت المنية وقامت رجاها على قطبها ، وفرت عن قابها ، وطار شرار الحرب ، فقتلنا رجالكم ومن النبي صلى الله عليه وسلم على ذرايكم وكنتم لعمرى في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم

من بنى عبد المطلب ، ثم قال : وأما أنت يامروان فما أنت والاكثر فى قریش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تتقلب فى خزاية الى سوءة ، وقد أتى بك الى أمير المؤمنين يوم الجمل ، فلما رأيت الضرغام قد دميت برائته ، واشتبتك أنيابه كنت كما قال الاول :

### بصبصن ثم رمين بأبعار

فلما من عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ماضاق عليك وغصصت بريقك لاتقعد منا مقعد أهل الشكر ولكن تساويننا وتجاريننا ، ونحن من لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ، ثم التفت الى زياد وقال : وما أنت يا زياد وقریش ما أعرف لك فيها أديما صحيحا . ولا فرعا نابتا ولا قديما ثابتا ولا منبتا كريما ، كانت أمك بغيا يتداولها رجالات قریش وفجار العرب ، فلما ولدت لم تعرف لك العرب والدا فادعاك هذا - يعنى معاوية - فما لك والافتخار !! تكفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى سيد المؤمنين الذى لم يرتد على عقبه وعمای حمزه سيد الشهداء ، وجعفر الطيار فى الجنة وأنا وأخى سيدا شباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال : انما هي بغاث الطير انقض عليها البازي ، فأراد ابن عباس أن يتكلم فأقسم عليه معاوية أن يكف فكف ، ثم خرجا ، فقال معاوية : أجاد عمرو الكلام أولا لولا أن حجته دحضت ، وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ، ثم التفت الى زياد فقال : مادعاك الى محاورته ماكنت الا كالحجل فى كف العقاب فقال عمرو : أفلا رميت من ورائنا ؟ قال معاوية : اذا كنت شريككم فى الجهل أفأفاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد من مضى ومن بقى وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم : والله لئن سمع أهل الشام ذلك أنه للسوءة السوءاء فقال عمرو : لقد أبقى عليك ولكنك طعن مروان وزيادا طعن الرحي بثغالها ووطنهما وطعن البازل بالقول بمئيسه . فقال زياد : والله لقد فعل ولكنك يامعاوية

تريد الاغراء بيننا وبينهم لاجرم والله لاشهدت مجلسا يكونان فيه الا كنت معهما على من فاخرهما ، فخلا ابن عباس بالحسن رضى الله عنه فقبل بين عينيهِ وقال : أفديك يا ابن عمي والله مازال بخرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتنى من أولاد البغايا • ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب أياما ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير ، فقال معاوية : يا أبا محمد انى أظنك تعبنا نصبا فأت المنزل فأرح نفسك ، فقام الحسن رضى الله عنه فخرج ، فقال معاوية لعبد الله بن الزبير : لو افتخرت على الحسن فأنت ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولا يبك في الاسلام نصيب وافر ، فقال ابن الزبير : أنا له ثم جعل ليلته يطلب الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضى الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال : خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال له ابن الزبير : لولا أنك خوار فى الحروب غير مقدم ماسلمت لمعاوية الأمر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهول وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه ، وكنت حريا ألا تفعل ذلك وأنت ابن على فى بأسه ونجدته ، فما أدري ما الذى حملك على ذلك ؟ أضعف حال أم وهى نحيزة ؟ ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين اما والله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت أننى ابن الزبير وانى لأنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبد المطلب وأبى الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأسا ، وأكرمهم حسبا فى الجاهلية ، وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فالتفت الحسن اليه وقال : أما والله لولا أن بنى أمية تنسبني الى العجز عن المقال لسكفت عنك تهاونا بك ولكن سأبين ذلك لتعلم انى لست بالسكريل أثيلى تعير وعلى تفتخر ولم تك لجدك فى الجاهلية مكرمة ان لاتزوجه عمتى صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها ، فكيف تفاخر من فى القلادة واسطهها وفى الاشراف سيادتها؟ نحن أكرم أهل الارض زنا لنا الشرف الثاقب

والكرم الغالب ثم تزعم أني سلمت الأمر لمعاوية ، فكيف يكون ؟  
ويحك كذلك ! وأنا ابن أشجع العرب ولدتنى فاطمة سيدة النساء  
وخيرة الأمهات لم أفعل ويحك ذلك جبننا ولا فرقا ولكنه بايعنى  
مثلك وهو يطلب بكرة ويداجينى المودة فلم أثق بنصرته لانكم  
بيت غدر وأهل احن ووتر فكيف لاتكون كما أقول ؟ وقد بايع  
أمير المؤمنين أبوك ثم نكت بيعته ونكص على عقبيه واختدع  
حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس  
فلما دلف نحو الأعنة ورأى بريق الأُسنة قتل بمضيعة لاناصر  
له وأتى بك أسيرا ، وقد وطئت الكماة بأظلافها والحيل  
بسنابكها ، واعتلاك الأُشتر ففصصت بريقك وأقعيت على  
عقبك كالكلب اذا احتوشته الليوث ، فنحن ويحك نور البلاد  
وأملأها زبنا تفتخر الأُمة والينا تلقى مقاليد الأُزمة نصول وأنت  
تختدع النساء ثم تفتخر على بنى الأنبياء لم تزل الاقاول منا  
مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس فى دين جدى طائعين  
وكارهين ، ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الى  
أبيك وطلحة حين نكتا البيعة وخذعا عرس رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقتلا عند نكتهما بيعته وأتى بك أسيرا تبصبص  
بذنبك فناشدته الرحم ألا يقتلك فعفا عنك ، فأنت عتاقة أبى  
وأنا سيدك وأبى سيد أبيك فذق وبال امرك ، فقال ابن الزبير  
اعذرنا يا أبا محمد فانما حملنى على محاورتك هنا واشتهى الاغراء  
بيننا فهلا اذ جهلت أمسكت عنى فانكم أهل بيت سجيتمكم الحلم  
قال الحسن : يا معاوية أنظر أأكرم عن محاوررة أحد ويحك ؟  
أتدري من أى شجرة أنا والى من أنتمى ؟ انتہ قبل ان اسمك بسمة  
يتحدث بها الركبان فى آفاق البلدان ، قال ابن الزبير : هو  
لذلك أهل ، فقال : معاوية اما انه قد شفا بلابل صدرى منك  
ورمى مقتلك فبقيت فى يده كالحجل فى كف البازى يتلاعب بك  
كيف شاء ، فلا أراك تفتخر على أحد بعد هذا • وذكروا أن  
الحسن بن علي صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال فى كلام  
جرى من معاوية فى ذلك :

فيم الكلام وقد سبقت مبرزا

سبق الجواد من المدى والمقوس

فقال معاوية: اياي تعني؟ والله لا تينك بما يعرفه قلبك ولا ينكره  
جلساؤك أنا ابن بطحاء مكة أنا ابن أجودها جودا وأكرمها أبوة  
وجدودا وأوفأها عهدودا أنا ابن من ساد قريشا ناشئا فقال  
التحسن: أجل! اياك أعني افعل تفتخر يامعاوية وأنا ابن ماء  
السما وعروق الثرى وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب  
والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضا الرحمن  
وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأبي أو قديم كقديمي  
فان تقل: لا تغلب، وان تقل: نعم تكذب، فقال: أقول: لا تصديقا لقولك، فقال الحسن رضى الله عنه:

الحق أبلج لا تزيف سبيله

والحق يعرفه ذوو الالباب

قال: وقال معاوية ذات يوم وعنده اشراف الناس من قريش  
وغيرهم أخبروني بأكرم الناس أبا وأما وعمما وعممة وخالا وخالة  
وجدا وجدة، فقام مالك بن عجلان وأوما إلى الحسن بن علي  
صلوات الله عليه فقال: هو ذا أبوه علي بن أبي طالب، وأمه  
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمه جعفر الطيار،  
وعمته أم هانئ بنت أبي طالب، وخاله القاسم ابن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم، وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم، وجدته رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدته  
خديجة بنت خويلد فسكت القوم ونهض الحسن، فأقبل  
عمرو بن العاص على مالك فقال: أحب بني هاشم حبلك على أن  
تكلمت بالباطل، فقال ابن عجلان ما قلت إلا حقا وما أخط من  
الناس يطلب مرضاة مخلوق بقصية الخالق إلا لم يعط أميته  
في دنياه وختم له بالشقاء في آخرته، بنو هاشم أضرركم عودا

وأوراكم زندا أكذلك هو معاوية ؟ قال : اللهم نعم . قال :  
واستأذن الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية وعنده عبد  
الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له ، فلما أقبل قال عمرو :  
قد جاءكم الفقه العبي الذي كان بين لحييه عقله ، فقال عبد الله  
ابن جعفر : مه والله لقد رمت صخرة ملهمة تنحط عنها السيول  
وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام ، فايك والحسن إياك  
فانك لا تزال راتعا في لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح  
سهمك وقدحت فما أوري زندك ، فسمع الحسن الكلام ، فلما  
أخذ مجلسه قال : يامعاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لجوم  
الناس أما والله لئن شئت ليكونن بيننا ماتفاقم فيه الأُمُور  
وتخرج منه الصدور ، ثم أنشأ يقول :

أتأمر يامعاوي عبد سهم	بشتمي والملا منا شهود
إذا أخلت مجالسها قريش	فقد علمت قريش ما تريد
أأنت تظل تشتمني سفاها	لضغن ما يزول ولا يبيد
فهل لك من أب كابي تسامي	به من قد تسامي أو تكيد
ولا جد كجدي يابن حرب	رسول الله أن ذكر الجلود
ولا أم كأمي من قريش	إذا ما حصل الحصب التليد
فما مثلي تهكم يابن حرب	ولا مثلي ينهذه الوعيد
فمهلا لا تهج منا أمورا	يشيب لهولها الطفل الوليد

وذكروا أن عمرو بن العاص قال لمعاوية : ابعث إلى الحسن بن  
علي فأمره أن يخطب على المنبر فلعلة يحصر فيكون في ذلك ما نعيظه  
به ، فبعث إليه معاوية فأمره أن يخطب ، فصعد المنبر وقدم اجتماع  
الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من عرفني فقد  
عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسين بن علي بن أبي طالب ابن عم النبي  
أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين  
أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس أنا ابن مستجاب الدعوة أنا  
ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب أنا  
ابن أول من يقرع باب الجنة أنا ابن من خاتلت معه الملائكة ونصير

بالرعب من مسيرة شهر ، وأمعن في هذا الباب ولم يزل حتى  
أظلمت الأرض على معاوية ، فقال : يا حسن قد كنت ترجو أن  
تكون خليفة ولست هناك ، قال الحسن : إنما الخليفة من سار  
بمسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته ، وليس  
الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أبا وأما ،  
ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يمتع به قليلا ويعذب بعده طويلا ،  
وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة ؟ فكان  
كما قال الله تعالى «وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين» ثم  
انصرف ، فقال معاوية لعمره : ما أردت الا هتكى ما كان أهل  
الشام يرون أحدا مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا . قال :  
وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية ، فلما دخل عليه  
وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة  
وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام  
فلما نظر اليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يربه  
السرور به وبقدومه ، فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم :  
لا تحاوروا هذين الرجلين : فقد قلداكم العار عند أهل الشام -  
يعني الحسن ابن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس - فقال  
مروان : يا حسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه  
الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت لهذا  
مستحق بقودك الجماهير إلينا ، فلما قاومتنا وعلمت ألا طاقة  
لك بفارسان أهل الشام وصناديد بني أمية أذعنت بالطاعة ،  
واحتجزت بالبيعة ، وبعثت تطلب الأمان اما والله لولا ذلك  
لأراق دمك ، ولعلمت أنا نعطي السيوف حقها عند الوغي ،  
فأحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية وعفا عنك بحلمه ثم صنع بك ما  
ترى ، فنظر اليه الحسن وقال : ويحك يا مروان لقد تقلدت مقاليد  
العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك  
أمك لبنا الحجج البوالغ ، ولنا عليكم إن شكرتم النعم السوابغ  
ندعوكم إلى النجاة وتدعوننا إلى النار ، فشتان ما بين المنزلتين  
تفتخر ببني أمية وتزعم أنهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء



تكلتك الثواكل أولئك البهاليل السادة ، والحماة الذادة ،  
والكرام القادة بنو عبد المطلب أما والله لقد رأيتهم أنت وجميع  
من فى المجلس ما هالتهم الأهوال ، ولا حادوا عن الأبطال  
كالليوث الضارية الباسلة الحنقة ، فعندما وليت هاربا وأخذت  
أسيرا ، فقلدت قومك العار ، لانك فى الحروب خوار أتهرق  
دمى ؟ فهلا أهرقت دم من وثب على عثمان فى الدار فذبحه كما  
يذبح الحمل وأنت تثغو ثغاء النعجة وتنادى بالويل والثبور  
كالمرأة الوكعاء ، ما دافعت عنه بسهم ، ولا منعت دونه بحرب  
قد ارتعدت فرائصك ، وغشى بصرك ، واستغثت كما يستغث  
العبد بربه ، فانجيتك من القتل ، ثم جعلت تبحث عن دمي  
وتحضر على قتلى ، ولو رام ذلك معاوية معك لذبح كما ذبح  
ابن عفان ، وأنت معه أقصر يدا ، وأضيق باعا ، وأجبن قلبا  
من أن تجسر على ذلك ، ثم تزعم أنى ابتليت بحلم معاوية ،  
أما والله لهو أعرف بشأنه وأشكر لنا اذ وليناه هذا الامر ،  
فمتى بدا له فلا يفضين جفنه على القذى معك ، فوالله لا عنغن  
أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ، ثم  
لا ينفعك عند ذلك الروغان والهرب ، ولا تنتفع بتدريجك  
الكلام ، فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القسماء الاكابر ،  
وفروعنا السادة الاخيار الافاضل ، انطق ان كنت صادقا ،  
فقال عمرو : ينطق بالحنا وتنطق بالصدق .

ذق وبال أمرك يا مروان ، فأقبل عليه معاوية فقال : قد  
نهيتك عن هذا الرجل وأنت تأبى الا أنهما كما فيما لا يعينك  
أربع على نفسك فليس أبوه كأبيك ، ولا هو مثلك أنت ابن  
الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم  
ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه ، فقال مروان : ارم دون  
بيضتك ، وقم بحجة عشيرتك ، ثم قال لعمرو : لقد طعنك  
أبوه فوقيت نفسك بخصيتك ومنهنا ثنيت أعنتك ، وقام  
مغضبا ، فقال معاوية : لا تجار البحار فتغمرك ، ولا الجبال  
فتقهرك ، واسترح من الاعتذار . قال : ولقى عمرو بن

العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف ، فقال :  
يا حسن أزعمت أن الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك ؟ فقد رأيت  
الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتا بعد ميله وبيننا بعد خفائه  
أفوضي الله قتل عثمان أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور  
الجلجل بالطعنين ؟ عليك ثياب كقرقيء البيض وأنت قاتل عثمان ،  
والله أنه لا لم للثبوت وأسهل للوعث أن يوروك معاوية حياض  
أبيك ، فقال الحسن صلوات الله عليه : ان لاهل النار علامات  
يعرفون بها : وهي الالحاد في دين الله والموالاة لاعداء الله ،  
والانحراف عن دين الله ، والله انك لتعلم أن علينا لم يترث  
فيه الامن ولم يشك في الله طرفه عين ، وأيم الله لتنتهين يا بن  
الطلس أو لاقرعن قصتك - يضي جبينه - بقسراع وكلام ،  
ولله الجراءة على فأتى من عرفت لست بضعيف المغمز ولا  
بهش المشطشة - يعني العظم - ولا بجرى المأكلة واني لمن قریش  
كأوسط القلادة معرق حسبي لا أدعي لغير أبي ، وقد تحاكت  
فيك رجال من قریش فغضب عليك ألاهما حسبا ، وأعظمها  
لعنة ، فإطاك عني ! فلما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة  
أضرب الله عنك الرجس وظهرنا تطهيرا . قال : واجتمع الحسن  
ابن علي صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص ، فقال الحسن :  
قد علمت قریش بأسرها أني منها في عز أرومها لم أطبع على  
ضعف ولم أعكس على خسف أعرف نسبى وأدعي لأبى ، فقال  
عمرو : وقف علمت قریش أنك ابن أقلها عقلا ، وأكثرها جهلا  
ولن يغبك خصالا لو لم يكن فيك الا واحدة منها لشمك خزيها  
كما شمل البياض الحائك ، وأيم الله لئن لم تنته عما أراك  
تصنع لا كبسن لك حافة كجلد الحائط إذا اعتاطت رحمها فما  
تضجل لزميك من خللها باخر من وقع الاتافي أعرك منها أديمك  
عوك للشفقة ، فلنك طالما ركبت المنعذر ، ونزلت في أعراض  
الوهم التماسا وواصلدا للفتنة ، ولن يزيدك الله فيها الا فظاعة  
فقال الحسن : أما والله لو كنت تسمو بحسبك ، وتعمل  
بنزواتك ما سلكك فج قصد ولا خللك رؤية مجد ، أما والله لو

أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح ، وانه طال ما  
تأخر شأوك واستسر داؤك ، وطمح بك الرجا الى الفساية  
القصوى التى لا يورق بها غصنك ، ولا يخضر منها رعيك ،  
أما والله لتوشكن يابن العاص أن تقع بين لحى ضرغام ، ولا  
ينجيك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان . عن ابن المنذر عن  
أبيه الشعبي عن ابن عباس أنه دخل المسجد وقد سار  
الحسين بن علي رضي الله عنه الى ا. . . اق ، فاذا هو بابن الزبير  
فى جماعة من قريش قد استعلاسم بالكلام ، فجاء ابن عباس  
فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال : أصبحت والله كما  
قال الشاعر :

يا لك من قنبرة بمعمر      خلالك الجو فبيضى واصفرى  
ونقرى ما شئت أن تنقرى      قد ذهب الصياد عنك فابشرى

لا بد من أخذك يوما فاصبرى

خلت الحجاز من الحسين بن علي وأقبلت تهدر فى جوانبها ،  
فغضب ابن الزبير وقال : والله انك لترى أنك أحق بهذا من  
غيرك ، فقال ابن عباس : انما يرى ذلك من كان فى حال شك  
وأنا من ذلك على يقين ، قال : وبأى شيء أستحق عندك انك  
بهذا الامر أحق منى ؟ فقال ابن عباس : لانا أحق بن يدل  
بحقه ، وبأى شيء أستحق عندك أنك أحق بها من سائر  
العزب الا بنا ؟ فقال ابن الزبير : استحق عندى انى أحق بها  
منكم لشرفى عليكم قديما وحديثا ، فقال : أنت أشرف أم من  
شرفت به ؟ فقال : ان من شرفت به زادنى شرفا الى شرفى ،  
قال : فمنى الزيادة أم منك ؟ فتبسم ابن عباس ، فقال ابن  
الزبير : يا ابن عباس دعنى من لسانك هذا الذى تقلبه كيف  
شئت ، والله يا بنى هاشم لا تحبوننا أبدا ، قال ابن عباس :  
صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من أبغضه الله ، قال :  
يا ابن عباس اما ينهض لك أن تصفخ عن كلمة واحدة ؟ قال :  
المسلم يصفخ عن أقر وأما من أهر فلا والفضل لأهل الفضل ،

قال ابن الزبير : فإين الفضل ؟ قال : عند أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه في غير أهله فتندم ، قال ابن الزبير : أفليست من أهله ؟ قال : بلى ان نبذت الحسد ولزمت الجدد وانقضى حديثهما ، وروى عن ابن عباس أنه قال : قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بنى أمية ووفود العرب عند فدخلت وسلمت وقعدت قال : يا ابن عباس من الناس ؟ فقلت : نحن ، قال : فإذا غبتم ، قلت : فلا أحد ، قال : فانك تررني قعدت هذا المقعد بكم ، قلت : نعم فبمن قعدت ؟ قال : بمن كان مثل حرب ابن أمية ، قلت : من كفا عليه اناءه وأجاره بردائه ، قال : فغضب وقال : أرحني من شخصك شهرا فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك ، فلما خرج ابن عباس قال لخاصته : ألا تسألونني ما الذي أغضب معاوية ؟ قالوا : بلى فقل بفضلك ، قال : ان أباه حربا لم يلق أحدا من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق الا تقدمه حتى يجوزه ، فلقيه يوما رجل من تميم في عقبة فتقدمه التميمي ، فقال حرب : أنا حرب بن أمية فلم يلتفت إليه وجازه ، فقال : موعدك مكة ، فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة ، فقال : من يجيرني من حرب بن أمية ، فقيل له : عبد المطلب ، فقال : عبد المطلب أجل قدرا من أن يجير على حرب فأتى ليلا الى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده : قد جاءنا رجل اما طالب قري واما مستجير وقد أجبناه الى ما يريد ، ثم خرج الزبير اليه ، فقال التميمي :

والصبح ابلغ ضواه للساير  
وسما على سمو ليث ضحاري  
وأتيت قرم معالم وفخار  
رحب الميلاء مكرما للجار  
والبيت ذى الأحجار والاستار  
ما كبر الحجاج في الأمصار

لاقيت حربا في الثنية مقبلا  
فدعا بصوت وأكتنى ليروعني  
فتركته كالكلب ينبج ظله  
ليثا هزبرا يستجار بعزه  
ولقد حلفت بمكة وبزمزم  
ان الزبير لما نهي من خوفا

فقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد ، فرآه حرب فقام اليه فلطمه ، فحمل عليه بالسيف فولى هارباً يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال : اجرني من الزبير ، فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس - فبقى تحتها ساعة ثم قال له : أخرج قال : وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم ؟ فالقى عليه رداءه كان كساه اياه سيف بن ذى يزن له طرتان خضراوان ، فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبد المطلب فتفرقوا عنه . قال : وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر ، فقال عمرو ابن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطرببات بالتغنى محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخي العيش أخذ بالسلف منفاق بالسرف ، فقال ابن عباس : كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ، ولكنه لله ذكور ، ولنعمائه شكور ، وعن الحنا زجور ، جواد كريم ، سيد حلیم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هيب ولا عيابة مقتاب حل من قريش في كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجريء المقدام في الحسب القمقام ، ليس بدعى ولا دنىء لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فأصبح الأما حسباً وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل ويأوى منها الى القليل مذذب بين الحين كالمساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الطاعن عنهم فقدوه ، فليت شعري بأى قدر تعرض للرجال ، وبأى حسب تعتد به عند النضال أنففسك وأنت الوغد اللثيم والنكد النميم والوضيع الزنيم ؟ أم بمن تمنى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة فى قريش ؟ لا بشرف فى الجاهلية شهروا ولا بتقديم فى الاسلام ذكروا ، جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور فى غير أقرانك ، والله لكان أبين للفضل وأبعد للعلوان ان ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق ، فانه طالما سلس داؤك ، وطمع بك رجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك ، فقال عبد الله بن جعفر : أقسمت عليك لما أمسكت

فانك عني ضللت ولى فاوضت ، فقال ابن عباس : دعني والعبد  
فانه قد كان يهدر خاليا ولا يجد ملاحيا ، وقد أتيح له ضيغم  
شرس للإقران مقترس وللأرواح مختلس : فقال ابن العاص :  
دعني يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ما ترك شيئا قال ابن  
عباس : دعه فلا يبقى المبقى الأعلى نفسه . فوالله ان قلبي  
لشديد ، وان جوابي لعتيد ، واني لكما قال نابغة بنى ذبيان :  
**وقدما قد قرعت وقارعوني فما نزر الكلام ولا سجانى**

**يصد الشاعر العراف عني صمد البكر عن قرم هجان**  
قال : وبلغ عاثمة بنت عاثم ثلب معاوية وعمرو بن العاص  
لبنى هاشم فقالت لاهل مكة : أيها الناس ان بنى هاشم  
سادت فجادت ، وملكت وملكت وفضلت وفضلت ، واصطفقت  
واصطفيت ، ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسروا  
طاغين ولا خازين ولا نادمين ، ولا هم من المغضوب عليهم ولا  
الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا ، وأمجدهم الناس  
أصلا ، وأعظم الناس حلما ، وأكثر الناس علما وعطاء منا  
عبد مناف المؤثر ، وفيه يقول الشاعر :

**كانت قريش بيضة فتفلقت فالح خالصها لعبد مناف**  
وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه ، وفيه يقول الشاعر :  
**عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف**  
ومنا عبد المطلب الذى سقينا به الغيث ، وفيه يقول  
أبو طالب :

**ونحن سنى المحل قام شفيعنا بمكة يدعيو والمياه تغور**  
وابنه أبو طالب عظيم قريش ، وفيه يقول الشاعر :

**أتيتك حلكا فقيام بحاجتي وترى العليج خائبا ملموما**  
ومنا العباس بن عبد المطلب اردفه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وأعطاء ماله ، وفيه يقول الشاعر :

**وديف رسول الله لم نر مثله ولا مثله حتى القيامة بيولد**

ومنا حمزة سيد الشهداء ، وفيه يقول الشاعر :

**أبا يعلى بك الأركان هدت وأنت المجد البر الوصول**

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا  
ليس بقدار ولا جبان أبدله الله بكلتا يديه جناحين يطير بهما  
فى الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

**هاتوا كجعفرنا ومثل علينا كانا أعز الناس عند الخالق**

ومنا أبو الحسن على بن أبى طالب صلوات الله عليه أفرس  
بنى هاشم ، وأكرم من احتبى وانتعل ، وفيه يقول الشاعر :

**على ألف الفرقان صفحا ووالى المصطفى طفلا صبا**

ومنا الحسين بن على عليه السلام سبط رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وسيد شباب اهل الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

**يا أجل الانام يا بن الوصى أنت سبط النبى وابن على**

ومنا الحسين بن على حمله جبريل عليه السلام على عاتقه  
وكفاه بذلك فخرا ، وفيه يقول الشاعر :

**حب الحسين ذخيرة المحبه**

**يا بن فاحشرنى غدا فى حربه**

يا معشر قريش والله ما معاوية كأمير المؤمنين على ولا هو كما  
يزعم هو والله شاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى آتية  
معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه غزيله وأنينه ،  
فكتب عامل معاوية اليه بذلك ، فلما بلغه أنها قربت منه أمر  
بدار ضيافة فنظفت وألقى فيها فرش ، فلما قربت من المدينة  
استقبلها يزيد فى حشمه ومماليكه ، فلما دخلت المدينة أتت  
دار أخيها عمرو بن عاثم فقال لها يزيد : ان أبا عبد الرحمن  
يأمرك أن تتبلى الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت : من  
أنت كلاك الله ؟ قال : أنا يزيد بن معاوية ، قالت : فلا رعاك  
الله يا ناقص لست بزائد ، فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبره  
فقال : عني أسن قريش وأعظمهم حلما قال يزيد : لكم تعد لها ؟

قال : كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام ، فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت : على المؤمنين السلام ، وعلى الكافرين الهوان والملام . . ثم قالت : أفیکم عمرو بن العاص ! قال عمرو : هاأنا ذا ، قالت : أنت تسب قريشا وبنی هاشم وأنت أهل السب وفیک السب والیک يعود السب یا عمرو انی والله عارفة بك وبعیوبك وعیوب أمك وانی أذكر ذلك : ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قیامها وتعلوها اللثام وإذا لامسها الفحل فكان نطفتها أنفذ من نطفته ركبها فی يوم واحد أربعون رجلا ، وأما أنت فقد رأيتك غاویا غیر مرشد ومفسدا غیر مصلح ، والله لقد رأیت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت ، وأما أنت یا معاوية فما كنت فی خير ولا ربیت فی نعمة فما لك ولبنی هاشم نساؤك كنسائهم أم أعطی أمیة فی الجاهلیة والاسلام ما أعطی هاشم ؟ وكفی فخرا برسول الله صلى الله علیه وسلم ، فقال معاوية : أيتها الكبيرة أنا كاف عن بنی هاشم ، قالت : فانی أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله علیه وسلم دعا ربه أن يستجیب لی خمس دعوات أفأجعل تلك الدعوات كلها فیک ؟ فخاف معاوية فحلف لا یسب بنی هاشم أبدا ، فهذا ما كان بین معاوية وبنی بنی هاشم من المفاخرة . قال : وكان علی بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فأخذ عبد الملك یذكر أيام بنی أمیة ، فبینما هو علی ذلك نادى المنادی بالآذان فقال : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال علی :

هذه المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فقال عبد الملك : الحق فی هذا أبین من أن یکابر . علی بن محمد النديم قال : دخلت علی المتوكل وعنده الرضی فقال : یا علی من أشعر الناس فی زماننا ؟ قلت : البحتري ، قال :



وبعده ، قلت : مروان بن أبى حفصة عبدك ، فالتفت الى الرضى فقال : يا بن عم من أشعر الناس . قال : على ابن محمد العلوى قال : وما تحفظ من شعره ؟ قال قوله :

لقد فاخرتنا من قریش عصابة  
بمط خدود وامتداد أصابع  
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا

عليهم بما نهوى نداء الصوامع

فقال المتوكل : ما معنى قوله ؟ - نداء الصوامع - قال : الشهادة قال : وأبيك انه أشعر الناس . ومما قيل فى هذا المعنى من الشعر قوله أيضا :

بلغنا السماء بأنسابنا	ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سودد أننا	بحسن البلاء كشفنا البلاء
إذا ذكر الناس كنا ملوكا	وكانوا عبيدا وكانوا إماء
يطيب الثناء لآبائنا	وذكر على يطيب الثناء
هجانى رجال ولم أجهم	أبى الله لى أن أقول الهجاء

وقال آخر :

وأنى من القوم الذين عرفتهم  
إذا مات منهم سيد قام صاحبه  
اضاعت لهم أحسابهم وأجوههم  
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه  
نجوم السماء كلما أنقض كوكبه  
بدا كوكب تأوى إليه كواكبسه

وقال آخر :

خطباء حين يقول قائلهم  
بيض الوجوه مقال لسن  
لا يظنون لعيب جارهم  
وهم تحفظ جوارهم فطعن

( ضده )

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا تفتخروا بأبائكم فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده لما يدرج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية ) . قال وكان الحسن البصرى يقول : يا ابن آدم لم تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار . وقال بعضهم لرجل : أتفتخر؟ ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار ؟ وروى عن ابن عباس أنه قال : الناس يتفاضلون فى الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون فى الآخرة باليقوى واليقين وأتقاهم أحسنهم يقيناً وأزكاهم عملاً وأرفعهم درجة . وقيل فى ذلك :

يزين الفتى فى الناس صحة عقله  
وإن كان محظوراً عليه مكاسبه  
وشين الفتى فى الناس قلة عقله  
وإن كرمت آباؤه ومناسيبه

وقيل لعامر بن قيس : ما تقول فى الانسان ؟ قال : وما أقول فيمن أن جاع ضرع وأن شبع بغى وطفى . وقال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالنسب ، ألا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأجد منهم على الآخر فضل . لأن نسبهما واحد ، ولكن ذلك من قبل الأفعال . لأن الشرف إنما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر :

أبوك أبى والجد لا شك واحد

ولكننا أعودان آس وخسوع

ويغلط عن الله تعالى قال : ليس اليهود بالشرف ، وقد ساد الاحنف بن قيس بحلمه وخصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسعود بصحته فى العلم فاستودع بن مهجوف بعطفه على أراذل

قومه ، وساد المهلب بن أبي صفرة بجميع هذه الخصال . واما  
 المشرك بالدين ، فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم أنه أتاه اعرابي فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله  
 من أكرم الناس حسنا ؟ قال : أحسنهم خلقا وأفضلهم تقوى ،  
 فأنصرف اعرابي ، فقال ردوه ، ثم قال يا أعرابي ، لعلك  
 أزدت أكرم الناس نسبا ، قال : نعم يا رسول الله ، قال :  
 يوسف الصديق ضدق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن اسحاق  
 ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله . . . فأين مثل هؤلاء الآباء في  
 جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم أحد أبدا ، وقال  
 الشاعر في ذلك :

ولم أر كلاسباة أبناء والسد

ولا كابينهم والدا حين ينسب

قال : ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فالتصّب له فقال : أنا ابن الأشياخ الأكارم  
 فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت اذن يوسف صديق الرحمن  
 عليه السلام ، ابن يعقوب إسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله  
 ابن خليل الله » . وقال صلى الله عليه وسلم : « خير البشر  
 آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي وخير الروم  
 هبيب وخير الحبشة بلال » قال : وسمع عمر بن الخطاب  
 وهو خليفة صوتا ولفظا بالباب فقال لبعض من عنده : أخرج  
 فانظر من كان من المهاجرين الاولين فأدخله ، فخرج الرسول  
 فوجد بلالا ومهنيا وسلمان فأدخلهم وكان أبو سفيان بن حرب  
 وسهيل في عصابة من قريش جلوسا على الباب فقال : يا معشر  
 قريش ، أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ،  
 ويخجل حبشي وفارسي ورومي ، فقال سهيل : يا أبا سفيان  
 أنفيسكم فلوتموا ولا تذلوا أمير المؤمنين دعي القسوم فأجابوا  
 وقعنتم فأبيتهم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلا ،  
 فقال أبو سفيان : لا خير في مكان يكون فيسنة بلال شريفا  
 ( فلما صنعنا الشرافة ) فإنه روى أن أبا طالب كان يعالج

العطر والبز ، وأما أبو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزازين ، وكان سعد بن أبي وقاص يعذق النخل ، وكان أخوه عتبة نجارا ، وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام جزارا ، وكان الوليد بن المغيرة حدادا ، وكان عقبة بن أبي معيط خمارا ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطاً ، وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والادم ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ، وكان عبد الله بن جدعان نخاساً ، وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل ، وكان جرير بن عمرو وقيس أبو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين ، وكان المسيب أبو سعيد زيان ، وكان ميمون بن مهران بزازا ، وكان مالك بن دينار وراقا ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزازا ، وكان مجمع الزاهد حائكا ، قيل : اتخذ يزيد بن المهلب بستانا في داره بخراسان ، فلما ولي قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو : هذا كان بستانا وقد اتخذته لابلك ، فقال قتيبة : أبي كان اشتريان وكان أبو يزيد يستانبان فمنها صار كذلك . قال وذكروا ان المأمون ذكر أصحاب الصناعات فقال : السوقة سفل والصناع أنذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس والناس أربعة : أصحاب الحرف وهي إمارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالا عليهم .

## ٢٣ - محاسن الثقة بالله سبحانه

قيل : خطب سليمان بن عبد الملك فقال : الحمد لله الذي أنقذني من ناره بخلافته . وقال الوليد بن عبد الملك : لا تشفعن للحجاج بن يوسف وقرّة بن شريك عند ربي وقال الحجاج : يقولون مات الحجاج ما أرجو الخير كله الا بعد الموت والله ما رضى الله البقاء الا لاهون خلقه عليه ، أليس إبليس اذ قال : « رب أنظرني الى يوم يبعثون » قال : فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، وقال أبو جعفر المنصور : الحمد لله

الذى أجازنى بخلافته وأنقذنى من النار بها . وحدثنى ابراهيم ابن عبد الله عن أنس بن مالك قال : دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال : استسلمى لامر الله واحتسبى . قالت : أمات ابنى ؟ قال : نعم . قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا : نعم . فملت يدها الى السماء وقالت : اللهم انك تعلم انى أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تفيثنى عند كل شدة فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم ، فكشف ابنها الذى سجيناه وجهه وما نرحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه .

( ضده )

قال عيسى بن مريم صلوات الله ، تعالى عليه : يا معشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق فى الدنيا فى أربع منازل : هو فى ثلاث منها واثق وهو فى الرابعة سبيء الظن يخاف خذلان الله اياه ، فأما المنزلة الاولى فانه خلق فى ظلمات ثلاث : ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه فى جوف البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة ، بل يكره اليه اكراها ويوجر ايجارا حتى ينبت عليه لحمه ودمه ، فاذا ارتفع عن اللبن وقع فى المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام ، فإن ماتا عطف عليه الناس هذاطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشى أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون أماناتهم ويسرق أمتعتهم ويفصّبهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالى اياه .

## ٢٤ - محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة : من لم يقدمه الحزم أخره العجز . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تبارك وتعالى

« يا ابن آدم أحدث لى سفرا أحدث لك رزقا » ، وفي بعض  
الحديث « سافروا تغنموا » ، وقال الكنيت بن زيد الاسدى :

ولن يزيج هموم النفس ان حضرت  
حاجات مثلك الا الرجل والرجل  
وقال أبو تمام الطائي :

وطول مقام المرء فى الحي مخلق  
لديباحيه فاعترى تجدد  
فانى رايت الشمس زينت محبة  
الى الناس أن ليست عليهم بمرمد  
وقال بعض الحكماء : لا تدع الحيلة فى التماس الرزق بكل  
مكان ، فان الكريم محتال ، والدنيء عيال ، وأنشد :

فسر فى بلاد الله والتمس الفنى  
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا  
ولا ترفن من عيش بدون ولا تم

وكيف ينام الليل من كان معبرا  
وتقول العامة : كلب جوال خير من أسد رايض ، وتقول :  
من غلى دماغه صائفا غلت قدره شاتيا ، ووقع عبدالله بن طاهر :  
من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الأحلام ، هذا المعنى سرقة من  
توقيعات أنو شروان فانه يقول : هرك روذ جرد هرك خسبد  
جواب بئند ، وأنشد :

كفى حزنا أن النوى قلقت بنا  
بعيا وأن الرزق اعيت ملاهيه  
ولو اننا اذ فرق البحر بيننا

غنى واحد منا تمول صاحبه  
ولكننا من دهرنا فى مسؤونة  
يكالينا طورا وطورا نكاله

وقال آخر :  
ومن يلهى عقله عياله ومقبرا  
من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ علدا او ينال غنيمة  
ومبلغ نفس علدها مثل منجس

وقال آخر :

وليس الرزق عن طلب حيث  
ولكن أدل ذلك في الدلاء  
تحك بملئها حيناً وطوراً  
تجى بحماة وقليل ماء

( ضده )

قيل : وجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة  
مكتوب عليه : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، فان موسى  
عليه السلام خرج ليقبس ناراً ، فنودي بالنبوة . وبلغنا عن  
ابن السماك أنه قال : لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل  
المفروض ، وكن اليوم مشغولاً بما أنت مسئول عنه غدا وإياك  
والفضول فان حسابها يطول

قال الشاعر :

انى علمت وعلم المسرء ينفعه  
ان الذى هو رزقى سوف ياتينى  
اسمى له فيعنينى تطلبه  
ولو قعدت اتانى لا يعنينى

وقال آخر :

لعمرك ما كل التعطل ضائر  
ولا كل شغل فيه للمرء منفعة  
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى  
عليك سواء فاعتم لذة الله

وقال آخر :

سهل عليك فان الرزق مقصور  
وكل مستأنف فى اللوح مسطور

أتى القضاء بما فيه ليلته  
وكل ما لم يكن فيه فمحظور  
لا تكذبن فخير القول أصله  
أن الحريص على الدنيا لمفرور  
وقال آخر :

لا تعتبني على العباد فانما  
ياتيك رزقك حين يؤذن فيه  
وقال آخر :

هي المقادير تجري في أعنتها  
فاصبر فليس لها صبر على حال  
يوما تريش خسيس القوم ترفعه  
دون السماء ويوما تخفض العالي  
وقال آخر :

اصبر على زمن جم نوائبه  
فليس من شدة إلا لها فرج  
تلقاه بالامس في عمياء مظلمة  
ويصبح اليوم قد لاحت له السرج

وقال آخر  
إلا رب راج حاجة لا ينالها  
وأخر قد تقضى له وهو آيس  
يجول لها هذا وتقضى لغيره  
فتأتى التي تقضى له وهو جالس

وقال آخر  
فلما أن عنت بما ألقى  
وأعيتني المسائل بالقروض  
دعوت الله لا أرجو سواه  
ورب العرش ذو فرج عريفي



وقال آخر  
يا صاحب الهم ان الهم منفرج  
ابشر بخير كان قد فرج الله  
الياس يقطع احيانا بصاحبه  
لا تياس فان الصانع الله  
اذا ابتليت فثق بالله وارض به  
ان الذى يكشف البلوى هو الله  
وقال آخر

واذا تصيبك من الحوادث نكبة  
فاصبر فكل بليّة تتكشف

## ٢٥ - محاسن المواعظ

قال الاصمعي : حججت فنزلت ضربة ، فاذا اعرابي قد كور  
عمامته على رأسه وقد تنكب قوسا ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى  
عليه ، ثم قال : أيها الناس انما الدنيا دار ممر والآخرة دار  
مفر ، فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من  
يعلم أسراركم . أما بعد فإنه لن يستقبل أحد يوما من عمره  
الا بفراق آخر من أجله ، فاستعجلوا لانفسكم لما تقدمون عليه  
لا لما تظعنون عنه ، وراقبوا من ترجعون اليه فإنه لا قوى أقوى  
من خالق ، ولا ضعيف أضعف من مخلوق ، ولا مهرب من الله  
الا اليه ، وكيف يهرب من يتقلب بين يدي طالبه « وانما توفون  
أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد  
فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » وقال بعض الاعراب :  
ان الموت ليقتحم على بنى آدم كاقترحام الشيب على الشباب ،  
ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على  
بلوى ولا طالب أغشيم من الموت ، ومن عطف عليه الليل والنهار  
أردياه ، ومن وكل به الموت أفناه . وقال أعرابي كيف يفرح  
بعدم تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات ؟ لقد  
عجبت من المرء يفر من الموت وهو سبيله ولا أرى أحدا الا

استدركه الموت ، وقيل وجد فى كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها : ان حاجة الله الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفه عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأس المرء على ما فاته والموت يطلبه . . . وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له : كيف حالك ؟ قال : كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبرا موحشا بغير أنيس ؟

( ضده )

قيل : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديدا فقال ذات يوم لمن حضره : هل من منشد شعرا يعزىنى به أو واعظ يخفف عنى فأتسلى به ؟ فقال رجل من أهل الشام : يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو يذهب الى مكان ، فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال : مصيبتى فيك زادتنى أنى مصيبتى مصيبة . وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال : نيت انى وجدت انسانا يخفف عنى مصيبتى ، فقال له الرسول : أقول ، قال : قل ، قال : كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه أو يكون شيء لا يعرفه ، فضحك الحجاج وقال : مصيبتى فى أمير المؤمنين أعظم حين وجد مثلك رسولا

## ٢٦ - محاسن فضل الدنيا

قال على ابن أبى طالب كرم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن لهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، مستجد أنبياء الله ، ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ، ويربحون فيها الجنة ، فمن ذا يغمها ؟ وقر آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وضوقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخريفا وتحذيرا

وترغيبا وترهيبا ، فيأبها الزمان للدنيا المفتتن بغرورها متى  
غرتك أبصارع آباءك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحس  
الثرى ؟ كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغى لهم الشفاء  
وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهم الدواء ؟ لم تنفعهم بطبكتك  
ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفعهم باستشفائك بطبك  
مثلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا  
يغنى عنك أحباؤك ، ثم التفت الى قبور هناك فقال : يا أهل  
الثراء والعز ، الأزواج قد نكحت والاموال قد قسمت والدور  
قد سمكنت هذا خير ما عندنا ، فما خير ما عندكم ، ثم قال لمن  
حضر والله لو أذن لهم لأجابوا بأن خير الزاد التقوى  
وأشهد :

**ما أحسن الدنيا وأقبالها**      **إذا أطاع الله من نالها**  
**من لم يواس الناس من فضلها**      **عرض للأدبار اقبالها**  
قال أبو حازم : الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه  
الموت حتى يخرجها منها ، وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه  
رزقه . وقال الحسن البصرى : بينا أنا أطوف بالبيت اذا أنا  
بعجوز متعبدة ، فقلت : من أنت ؟ قالت : من بنات ملوك غسان ،  
قلت : فمن أين طعامك ؟ قالت : اذا كان آخر النهار جاءتنى  
امراة متزينة فتضع بين يدي كوزا من ماء ورغيفين ، قلت لها :  
أتعرفينها ؟ قالت : اللهم لا قلت : هى الدنيا خدمت ربك جل  
ذكره فبعث اليك الدنيا فخدمتك .

( ضلحه )

زعموا أن زياد بن أبيه مر بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال  
لخادمه : لمن هذا ؟ قيل له هذا دير حرقه بنت النعمان بن المنذر  
فقال : ميلوا بنا اليه نسمع كلامها ، فجاءت الى وراء الباب  
فكلمها الخادم فقال لها : كلمى الامير : فقالت : أوجز أم  
أطيل ؟ قال : بل أوجزى . قالت : كنا أهل بيت طلعة الشمس  
علينا وما على الارض أحد أعز منا وما غابت تلك الشمس حتى

رحمنا غدونا قال : فأمر لها باوساق من شعير فقالت : أطعمتك يد شبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعمت ، فسر زياد بكلامها ، فقال لشاعر معه : قيد هذا الكلام لي درس فقال :

سل الخير أهل الخير قلما ولا تسئل

فتى ذاق طعم الخير منذ قريب

ويقال : ان فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فألفاها وهي تبكي فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : ما من دار امتلأت سرورا الا امتلات بعد ذلك قبورا ثم قالت :

فبينما نسوس الناس والامر امرنا

اذا نحن فيهم سوقة نتنصق

فأفادينا لا يوم نعيمها

تقلب تارات بنسا وتصرف

قال : وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقاص : لا جعل الله لك الى لثيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة ، وعقد لك المنن في أعناق الكرام ، ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك الا جعلك سببا لردھا عليه . قال : وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمي : أي الزمان أدركت أفضل ، وأي ملوكه أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أر الا ذاما وحامدا ، وأما الزمان فرفع أقواما ووضع آخرين وكلهم ينهم زمانه لانه يبلى جديدهم ويهرم صغيرهم ، وكل ما فيه منقطع الا الامل ، قال : فأخبرني عن فهم ، قال : هم كما قال الشعير :

هم بن عمرو فاصبحوا كالريم

بعد عز وثروة ونعيم

س وتبقى ديارهم كالرسوم

دج الليل والنهار على فهم

وجلت دارهم فاضحت قفارها

وكذاك الزمان يذهب بالناس

قال : فمن يقول منكم :

يحبون الغني من الرجال

بخيلا بالقليل من التوال

وماذا يرتجون من الخال

ولا يرجى لحادثة الليال

رايت الناس مذ خلقوا وكانوا

وان كان الغني اقل خيرا

فلا أدري علام وفيهم هذا

للغنى غلب على ذلك دنيا

قال : أنا وكنتمها • قال ولما دخل على صلوات الله عليه  
المدائي فنظر الى ايوان كسرى أنشد بعض من حضره قول  
الاسود بن يعفر :

ماذا يؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد ايام  
أهل الخورنق والسدير وبارق  
والقصر ذي الشرفات من سندباد

نزلوا بانقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد  
أرض تخيرها لطيب نسما كعب بن مامة وابن أم دؤاد  
جرت الرياح على محل ديارهم فكانما كانوا على ميعاد  
فلذا النعيم وكل ما يلهى به يوما يصير الى بلى ونفاد

وقال على صلوات الله عليه : أبلغ من ذلك قول الله تعالى :  
« كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا  
فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم  
السماء والأرض وما كانوا منظرين »

وقال عبد الله بن المعتز : أهل الدنيا كركب يساربهم وهم  
نيام وقائ غيرهم : طلاق الدنيا مهر الجنة • وذكروا لأن  
اعرابيا ذكر الدنيا ، فقال : هي جمة المصائب رنقة الشارب •  
وقال آخر : الدنيا لا تمتعك بصاحب • قال أبو الدرداء : من  
هو ان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده  
الا بتركها • وقال : اذا أقبلت الدنيا على امرئ أعارقه محاسن  
غيره ، واذا أدبرت عنه سلبتة محاسن نفسه • وقال الشاعر :

أيا دنيا حشرت لنا قناعا وكان جمال وجهك في النقاب  
ديار طالما حجبت وعسرت فاصبح اذننا سهل الحجاب  
وقد كانت لنا الايام ذلت فقد قرنت بايام صعب  
كان العيش فيها كان ظلا يقلبه الزمان الى ذهب

قال الاصمعي : وجد في دار سليمان بن داود عليه السلام  
على قبته مكتوبا :

ومن يحمد الدنيا ثشيء يسره  
فسوف لعمرى عن قريب يلومها  
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة  
وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد :

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا      فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع  
وقال أبو العتاهية :

يا من ترفع بالدنيا وزينتها      ليس الترفع رفح الطين بالطين  
إذا أردت شريف القوم كلهم      فانظر الى ملك في زى مسكين

ذاك الذى عظمت فى الناس همته  
وذاك يصلح للدنيا وللدن

وقال آخر :

هب الدنيا تساق اليك عفوا      اليكس مصير ذاك الى زوال  
وقال محمود الوراق :

هي الدنيا فلا يفررك منها      مغائل تستفز ذوى العقول  
اقل قليلها يكفيك منها      ولكن لست تقنع بالقليل  
تشيد وتبني فى كل يوم      وأنت على التجهز للرحيل  
ومن هذا على الايام تبقى      مضاربه بمدرجة السيول

وقال آخر :

دنيا تداولها العباد ذميمة      شبيت باكره من نقيع الخنظل  
ولبات دنيا ما تزال ملومة      منها فجائع مثل وقع الجندل

وقال آخر :

حتى متى أنت فى دنياك مشغول      وعامل الله بالرحمن مشغول

وقال أبو نواس الحسن بن هاني :  
 دع الحرس على الدنيا وفي العيش فلا تطمع  
 ولا تجمع لك المال فما تدري لمن تجمع  
 ولا تدري أفي أرضك أم في غيرها تصرع

قال الاصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء وهو يقول : بينا  
 أنا أدور في بعض البراري إذا أنا بصوت :  
 وإن امرأة دنياه أكثر همه لمستمسك منها بجبل غرور  
 فقلت : أئنسى أم جنى ؟ فلم يجبنى أحد فنقضته على خاتمي .  
 قال وسمع يحيى بن خالد بيت العدوي في وصفه الدنيا :  
 حتوفها رصد وعيشها نكد وشربها رنق وملكها دول  
 فقال : لقد نظم في هذا البيت صفة الدنيا . قال وسمع  
 المأمون بيت أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن علو في ثياب صديق

فقال : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة  
 أبي نواس . وقيل للحسن البصري : ما تقول في الدنيا ،  
 قال : ما أقول في دار حلالها حساب وحرامها عقاب ، ف قيل  
 ما سمعنا كلاما أوجز من هذا ، قال : بلى كلام عمر بن عبد  
 العزيز كتب إليه عدي بن أرطاة وهو على حمص قد تهدمت  
 واحتاجت إلى صلاح حيطانها ، فكتب إليه : حصنها بالعدل  
 ونق طرقها من الظلم والسلام .

## ٢٧ - محاسن الزهد

حمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيفما قال :  
 كنت معه في طريق مكة فلما بعدنا في الرمل نظر إلى ما تلقى  
 الإبل من شدة الحر فيبكي ضيفم ، فقلت : لو دعوت الله أن  
 يمطر علينا كان أحف على هذه الإبل ، قال : فنظر إلى السماء  
 وقال : إن شاء الله فعل ، قال : فوالله ما كان إلا أن تكلم

حتى نشأت سحابة فهطلت . وعن عطاء بن يسار أن أبا مسلم  
الخلولاني خرج إلى السوق بدينهم يشتري لأهله دقيقا ، فعرض  
له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فأعطاه الباقي ،  
فأتى النجارين فملا مزوده من نشارة الخشب وأتى منزله  
فألقاه وخرج عاريا من أهله فاتخذت المرأة المزود فإذا دقيق  
حواري لم تر مثله فعجنته وخبزته ، فلما جاء قال : أين لك  
هذا ؟ قالت : الدقيق الذي جئت به . وعن أبي عبد الله  
القرشي عن صديق له قال : دخلت بئر زمزم فإذا بشخص  
ينزع الدلو مما يلي الركن ، فلما شرب أرسل الدلو فأخذته  
فشربت فضلته فإذا هو سويق لم أر أطيب منه ، فلما كانت  
القابلة في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه  
ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فأخذته فشربت فضلته فإذا  
هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيئا قط أطيب منه فاردت أن  
أخذ طرف ثوبه فأنظر من هو ففأنتني ، فلما كان في الليلة  
الثالثة قعدت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد  
أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته  
وشربت فضلته فإذا هو أطيب من الأول ، فقلت : يا هذا  
أسألك برب هذه البنية من أنت ؟ قال : تكتم علي حتى أموت ؟  
قلت : نعم ، قال لي أنا سفيان الثوري وكانت تلك الشربة  
تكفيني إذا شربتها إلى مثلها لا أجد جوعا ولا عطشا . وقال  
الاصمعي أرايت أعرابيا يكدح جبهته في الأرض يريد أن  
تجعل سجادة فقلت ما تصنع ؟ قال : اتى وجدت الأثر في وجه  
الرجل الصالح .

وقال الشاعر :

كيف يبكي المحب في الليل  
أن في البعث والحباب لشغل  
من سيقضي ليوم حبس طويل  
عن وقوف برسم ربع محيل

وقال آخر :

إن الشقي الذي في النار منزله  
والفوز فوز الذي ينجم من النار



وقد علمت يقينا سوء آثاري  
رب العباد وزحزحني عن النار

هذا محال في القياس بديع  
ان المحب لمن يحب مطيع

ام كيف يجعله الجاحد  
وتسكينه فاعلمن شاهد  
تدل على أنه واحد

ق من ضعيف مهين  
الى قرار مكين  
في الحجب دون العيون  
مخلوقة من سكون

كانك ما تظن الموت حقا  
اما والله ما ذهبوا لتبقى  
اذا جعلت الى اللهوات ترقى

فقد لعمرى امرت بالحد  
الى يدك الامان من سقر

واجتران على الخطيئة  
ت فلذلك اعظم للبليئة

وباب الله مبلول الفناء  
ولا أفرع الى غير الله  
سوى من لا يهيم عن الله

يارب اسرفت في ذنبي ومعصيتي  
فاغفر ذنوبيا الهى قد احطت بها  
وقال ذو الرمة :

تعصى الاله وانت تظهر حبه  
لو كان حبك صادقا لاطعته  
وقال ابو نواس :

ايا عجبا كيف يعصى الاله  
ولله في كل تحريكة  
وفى كل شيء له آية  
وقال أيضا :

سبحان من خلق الخلد  
يسوقهم من قرار  
يجوز خلقا فخلقنا  
حتى بدت حركات  
وقال آخر :

اخى ما بال قلبك ليس ينقى  
الا يابن الذين مضوا وبادوا  
ومالك غير تقوى الله زاد  
وقال آخر :

يا قلب مهلا وكن على حد  
مالك بالترهات مشتغلا  
وقال آخر :

ان كنت تؤمن بالقيامة  
فلقد هلكت وان جحد  
وقال آخر :

وافنية الملوك محجبات  
فما أرجو سواه لكشف خرى  
ولا أدعو الى اللاواء كهنا

تم الجزء الاول ويليهِ الجزء الثانى والاخير

# قناة السويس

## نبذة تاريخية :

ترجع فكرة وصل البحرين الابيض والاحمر بطريق مائي عبر برزخ السويس الى اربعين قرنا مضت عندما انشا فرعون مصر « سنوسرت » الثالث اول قناة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م . ثم رخت القناة بعد ذلك عدة مرات فتولى اعادة الملاحة فيها دارا الاول ملك الفرس ، ثم بطليموس الثانى ، ثم الامبراطور تراجان ، ثم عمر بن الخطاب بعد الفتح الاسلامى وبنات اعمال حفر القناة الحالية فى ابريل سنة ١٨٥٩ وافتحت الملاحة فيها فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

## تأسيس الشركة :

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأسيس شركة قناة السويس فاعاد الى مصر حقوقها الشرعية ، وشهد العالم بكفاية الادارة المصرية

## « مشروع ناصر »

كانت الشركة المؤممة قد وضعت برنامجا يهدف الى زيادة القطاع المائى من ١٢٥٠ الى ١٥٠٠ متر مربع ، فقررت الهيئة المصرية زيادته الى ١٨٠٠ مترمربع ثم بدلت بتنفيذ « مشروع ناصر » الذى يهدف الى :

- ١ - ازدواج القناة باكملها
- ٢ - تعميقها بحيث تسمح بعبور السفن التى يبلغ غاطسها ٤٥ قدما ، وتتراوح حمولتها بين ٦٥٠٠٠ و ٧٠٠٠٠ طن
- ٣ - استثمار الرادار لضمان الرقابة على حركة السفن
- ٤ - تعزيز اسطول الهيئة باحدث الكراكات والقاطرات

## تأثير القناة على التجارة العالمية :

ان قناة السويس تختصر طريق السفن بين بلاد الشرق وبلاد الغرب بتجنبها الدوران حول القارة الافريقية ، وقد بلغ ما توفره من المسافة ٤٠ فى المائة



## الجاحظ

٢  
 ٢ ولد في البصرة سنة ( ٧٧٥ م - ١٥٩ هـ ) وتوفي في سنة ( ٨٦٨ م - ٢٥٥ هـ )

٣ كان يستأجر دكاكين الوراقين ( المكتبات ) ويبيت فيها للمطالعة ولم ينقطع عن طلب العلم بسبب فقره .

٤ كان جده يشتغل جمالا عند رجل من بنى كنانة ، وكان هو يبيع تحبز والسمك في البصرة .

٥ عين رئيسا لديوان الرسائل في قصر الخليفة المأمون ، واستقال بعد ثلاثة أيام لأن العمل في دار الخلافة قيد حريته .

٦ سافر الى دمشق وانطاكية ومصر .

٧ ربح من كتاب ( البيان والتبيين ) خمسة الاف دينار ، وهو اكبر مبلغ ربحه كاتب عربي في كتاب واحد حتى اليوم .

٨ كان مشوه الوجه ، نأى العيين ، قصير القامة ، بشع المنظر خفيف الدم .

٩ أصيب في أواخر أيامه بالشلل والروماتزم .

١٠ كان مقرما باللهو وسماع الغنيات ، ولم يتزوج

١١ اسمه . عمرو بن بحر بن محبوب . ولقبه الجاحظ . . .  
 . . . وكنيته أبو عثمان .

التم

الكتاب العاشر

الدار القومية للطباعة والنشر  
 شركة ذات مسئولية محدودة  
 ٢ شارع طلعت حرب - القاهرة

Bibliotheca Alexandrina



0354996

